

التنوير

مفهومه، وأصوله الفكرية

دراسة نقدية

د. آمال بنت عبد العزيز العمرو

أكاديمية سعودية، أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

لا يمكن الحكم على توجه فكري دون الرجوع لأصوله التي انبثق منها أو تأثر بها، ومن هنا كانت دراسة التنوير من حيث: التعريف بمصطلح التنوير، وبيان تاريخ ظهوره وتخصيصه بدلالته الاصطلاحية، ودلالة عصر التنوير.

كما تم التعريف بأشهر فلاسفة التنوير، مع بيان خلاصة فكرهم وتوجههم الفلسفي حيث إنهم من وضع أصول التنوير.

ثم بعد ذلك تم شرح الأصول التي قام عليها التنوير الأوروبي.

ثم انتقال التنوير للبلاد العربية، والمسالك التي ظهر بها، والتيارات التي انتسبت إليه.

بعد ذلك تم نقد أصول التنوير، وبيان آثاره على دين المجتمع وفكره وأخلاقه.

Abstract

The Enlightenment: Its Definition and Ideological Roots - A critical Study

Dr. Amal bint Abdulaziz al-'Amr

We can not judge a particular school of thought without reference to their ideological roots, which emerged from ,or affected by, hence the study of the Enlightenment in terms of: definition of the term: "Enlightenment", its date of emergence, and specification with its terminological meaning, and with meaning of enlightenment era.

As defined the most famous philosophers of the Enlightenment, and their philosophical orientations and ideologies. as they, who, established the roots of Enlightenment.

And after presenting the European Enlightenment and explaining its ideological roots, and how Enlightenment moved to the Arab countries, its forms of occurrence, and the ideologies that connected with it, it is then criticized ,and illustrated their negative effects on society and his religion and morals.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد جعل الله لنا فيما حصل للأمم حولنا عظة وعبرة، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وما حدث في أوروبا وتوابعها من ثورة على الدين وإقصاء له، وتقديس للعقل، ثبت لهم بعد ذلك ما فيه من غلو، وتبيَّن لهم الفراغ الروحي الهائل الذي لا يستطيع العقل أو العلم الدنيوي أن يملأه، وظهرت الدراسات النقدية الغربية للتنوير.

إلا أنَّه لا يزال يُوجد من يُنادي بالتنوير الأوروبي الفرنسي، بينما يطالب آخرون بالإصلاح والتنوير الإسلامي، حيث يتفقون إجمالا على تمجيد ما في التنوير من عقلانية، وحرية، وإنسانية، ومساواة، وتسامح، وديمقراطية، كما يتفقون على نقد السلفية.

وبلا شك فإن الفرق كبير بين التيارين، حيث كانت منطلقات التنوير الإسلامي هي -كما يقولون- المرجعية الإسلامية، بينما كانت مرجعية المطالبين بالتنوير الفرنسي هي العقل، ولا شيء غير العقل.

إذ يرى المطالبون بالتنوير الأوروبي العلماني «أن الحديث عن عصور

الظلام الأوروبية هو حديث بالصفات المتطابقة عن عصور الظلام السلفية التي تخيم على عوالمنا بكل إصرار وعناد»[١]، وأنه وجد «كثيرٌ من التشابه والتماثل، بل التطابق أحيانًا بين واقعنا الراهن وواقعهم التاريخي»[٢]، وأنه «لامقارنة بين عالم الظلمة والجهل والتخلف، وعالم التقدم والعقل والأنوار»[٣]، وأن التاريخ الإسلامي «هو تاريخ يقف ضد التنوير وقيمه التي أرساها فلاسفة التنوير في القرن السابع عشر الميلادي، وما بعده، تاريخنا المجيد! يقف ضد هذا التنوير وقيمه؛ لمصلحة التوحش والتخلف والانحطاط والاستعباد، الذي يظهر في أكثر من صورة، ولكن نسقه واحد»[٤]، وأن حلق العلم هي حلق دروشة[٥]. ويصف الصراع بين رجال الدين النصراني، وبين المذهب الربوبي الإلحادي، بأنه «كان صراعًا بين فهم أصولي متزمت للدين، وفهم تقدميّ مستنير»[٦].

ومن المفارقات العجيبة أن نجد في الغرب من ينتقد التنوير ويطالب بالعودة إلى الدين، حيث يرى هانز كونغ *Hans Kong*[٧]: «أن إعادة

---

(١) تكفير التنوير، محمد علي المحمود، ص(١٨).

(٢) تكفير التنوير، في مواضع كثيرة من الكتاب، منها ص(٥٩، ١٩٨).

(٣) تكفير التنوير، ص(٢٤٩).

(٤) تكفير التنوير، ص(١٩٢).

(٥) انظر تكفير التنوير، ص(١٠٤).

(٦) تكفير التنوير، ص(٤٠).

(٧) عالم دين سويسري ولد عام ١٩٢٨، له كتابات في مدح الإسلام ونبي الإسلام، ومنها كتابه: «المسيحية والأديان الأخرى»، ويرى البعض -كالدكتور راغب السرجاني في كتابه =

الاعتبار إلى مسألة الدين بعد أن غُيِّبت طيلة مائتى سنة هى التى ستنقذ الحضارة الغربية من المأزق الذي وصلت إليه»[١]، وأن «الأزمة الدينية هى أساس الأزمة الروحية والفكرية العامة التى يُعاني منها الغرب منذ الحرب العالمية الأولى. فالأزمة الحالية هى أزمة روحية وأخلاقية قبل كل شىء»[٢]. في حين يخرج من بلاد التوحيد والإسلام مَنْ ينتقد الدين، ويطالب بالرجوع إلى الوراء؛ إلى التنوير الأوروبى.

إلا أنه ولمناقضته الصريحة للدين لم يُكتب له الذيوع، خاصة في بلاد التوحيد، لكن إعادة طرحه وتزييفه، استلزمت الكتابة عنه.

كما أن اشتداد لهجة التنوير الإسلامى في نقد السلفية، والتقارب في الأهداف بينه وبين الليبرالية والتنوير العلماني، -وهى كما يزعمون- النهضة بالأمة، ومواكبة العصر، ونشر قيم التسامح والعدل، أوجبت نقده وبيان مخاطره.

وفي مسلمات العقل أن المقيس يجب أن يتفق مع المقيس عليه في علته، ليتفقا بعد ذلك في الحكم والنتيجة. وبالنظر للدين النصراني المحرف ومناقضته للعقل ومصادمته للفطرة، وتعسف الكنيسة آنذاك ومحاربتها للعلم، وتصفيتها للعلماء، نجد الاختلاف الكبير بينه وبين الإسلام، لما احتواه القرآن الكريم من مسائل علمية مذهلة[٣]، ولتكرار الآيات في الحثّ

=

عظماء أسلموا- أنه اعتنق الإسلام.

(١) نقلاً عن مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح، ص(٢٤٤).

(٢) نقلا عن مدخل إلى التنوير الأوروبي، ص(٢٤٤).

(٣) انظر تأكيد بعض المنصفين من الغرب في كتاب «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»،
=

على النظر والتفكر في الكون، بل القرآن تضمن من الأدلة العقلية الشيء الكثير، بل كثير مما جاء به الشرع قد دلَّ عليه العقل.

أمَّا من حيث الحقوق والعدل فقد كان في الفقه الإسلامي ما يبهر العقول من أحكام إلهية، وتشريعات ربانية، تناسب الفرد والجماعة، المرأة والرجل، الصغير والكبير. بل باعتراف الهيئات القانونية العالمية أنها استفادت من أخلاق ومبادئ الإسلام في التعامل وقت الحرب والقتال، في صياغة بعض القوانين الدولية[1].

لقد كان الإسلام نورًا أضاء الله به القلوب بعد ظلمة الجاهلية، إنه تغيير جذري للنفس البشرية، وإعادتها إلى ما فطرها الله عليه من التوحيد، وإلى يومنا هذا كل من يدخل الإسلام بصدق ورغبة-وهم في الغالب من أهل العلم، الباحثين عن الحق- يُلحَظ عليه التغيُّر الكبير في أخلاقه وتعامله، وإقباله على الخير، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن

=

موريس بوكاي.

(١) انظر : الإسلام نهر يبحث عن مجرى، شوقي أبو خليل ص(٢٣-٢٥)، حيث نقل عن كتيب وزعته لجنة الصليب الأحمر الدولي عنوانه: «من ذاكرة التاريخ العربي الإسلامي»، فيه مقارنة بين القانون الدولي، ومبادئ الإسلام.

رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨].

فتأمل كيف وصف الله عَزَّوَجَلَّ الهداية والدين والقرآن والإيمان والتقوى بأنها نور يضيء للعبد حياته، ويخرجه من ظلمات الكفر والجهل والخرافة، كما وصف التوراة والإنجيل التي جاءت من عند الله بأنها نور، وهي آيات كثيرة تكررت في الوصف المباشر للدين والهدى والكتب المنزلة من الله بأنها نور، وقد بلغ عددها إحدى وثلاثين آية.

أسباب اختيار الموضوع:

١-ظهور الدعوة إلى تطبيق التنوير الأوروبي، وأنه هو المخلِّص من التخلف بزعمهم. وقد ظهرت هذه الدعاوى في قلب البلاد الإسلامية منذ سنوات، وعاودت الظهور -وبقوَّة- في أيامنا هذه.

٢-توضيح بنية التنوير الأوروبي ونقده من منظور أهل السنة والجماعة، حيث إنه حوى أساسيات وبذور الإلحاد، بل التصريح بالإلحاد.

٣- خطورة تيار التنوير الإسلامي، وموقفه من السلفية.

خطة البحث:

قسمته إلى مباحث، كالآتي:

المبحث الأول: تعريف التنوير، وتاريخ ظهوره.

المبحث الثاني: أصول التنوير الأوروبي.

المبحث الثالث: التنوير في البلاد الإسلامية.

المبحث الرابع: نقد التنوير.

الدراسات السابقة:

وقفت على العديد من الدراسات السابقة عن التنوير، وقد استفدت من بعضها في هذا البحث، إلا أن تلك المؤلفات تنوعت بين: دراسات عن التنوير الإسلامي، أو دراسات عن التنوير الأوروبي برؤى ليبرالية أو علمانية، أو كتب أجنبية مترجمة إما تثني أو تنتقد من منظور غير إسلامي، كما أن بعضها لم يُحِل إلى مراجع مادته العلمية، مما أضعفه كمصدر للمعلومة.

ومن هذه المؤلفات:

-فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، أ.د.محمد السيد الجليند.

-الإسلام بين التنوير والتزوير، د.محمد عمارة.

-فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، د.عبدالوهاب المسيري.

-مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح.

-معارك التنوير والأصوليين في أوروبا، هاشم صالح.

-قضية التنوير في العالم الإسلامي، د.محمد قطب.

-موجز فكر التنوير، د.عثمان أشقر.

-ما بعد الحداثة والتنوير، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، د. الزواوي بغورة.

-التنوير الإسلامي في المشهد السعودي، لعبدالوهاب آل غظيف.

-الاتجاهات العقلانية الحديثة للدكتور ناصر العقل.

-العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، لمحمد حامد الناصر.

-المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، لمحمد حامد الناصر.

-العصرانيون ومفهوم تجديد الدين، عرض ونقد، للدكتورعبد العزيز مختار إبراهيم.

إلا أن ضخامة الموضوع وأهميته تستدعي المزيدَ من الدراسات، والتحليل، والنقد.

بل لا تزال المؤتمرات والندوات تقام لأجل مناقشة موضوع التنوير على اختلافٍ في الهدف منها[(١)].

لذا كان هذا البحث إسهاما في بيان حقيقة التنوير الأوربي، وأثره على دعاوى التنوير في بلادنا، والله أسأل أن يجعله عملا متقبلا، وصلى الله على نبينا محمد.

---

(١) من ذلك المؤتمر الدولي الذي عقد في مصر، في جمادى الثاني ١٤٣٣هـ، في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة تحت عنوان: «التنوير في الفكر الإسلامي ضروراته وآفاقه». وندوة في الكويت بعنوان «التنوير... إرث المستقبل» في يومين، احتشد فيها مجموعة من المفكرين العرب والخليجيين، أبرزهم المفكر الجزائري محمد أركون، وأقيمت الندوة في الجمعية الثقافية النسائية – الخالدية.

المبحث الأول
تعريف التنوير، وتاريخ ظهوره

وفيه خمس مسائل:

١-تعريف التنوير في اللغة.

٢-تعريف التنوير في الاصطلاح.

٣-تأريخ ظهور المصطلح.

٤-تحديد عصر التنوير.

٥-أبرز أعلام التنوير الأوروبي.

(١) تعريف التنوير في اللغة:

«التنوير» أو «الأنوار» ترجمة لمصطلح أوروبي، وهو بالإنجليزية *Enlightenment*، وبالفرنسية *Lumière*، وبالألمانية *Aufklarung*[١].

ومدلوله اللغوي يعني النور الذي هو الضياء، والجمع أنوار، وأنار الشيء واستنار بمعنى، أي أضاء. والتنوير: الإنارة. والتنوير: الإسفار[٢].

(٢)تعريف التنوير في الاصطلاح:

يرى بعض المفكرين الغربيين صعوبة تحديد التنوير في الاصطلاح، وقد جرت محاولات عديدة منهم للتعريف بحالة الأنوار؛ يقول ميشيل

(١) ذكرت أصوله اللغوية بلغات مواطن التنوير الكبرى.

(٢)انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٣٩)، العين، الخليل بن أحمد(٨/ ٢٧٥)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٣٦٨).

فوكو *Michel Foucault* (١٩٢٦-١٩٨٤): «سؤال لم تكن الفلسفة الحديثة قادرة على الإجابة عنه، بل لم تستطع قط التخلص منه، وهاهي الآن ومنذ قرنين من الزمان ما زالت تعيده وتكرره بأشكال مختلفة، فمن هيجل إلى هوركهايمر أو هابرماس، مرورًا بنيتشه أو ماكس ويبر، لا توجد فلسفة إلا وواجهت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة نفس السؤال: ما هو هذا الحدث الذي يسمونه الأنوار والذي حدد ولو جزئيًّا على الأقل ما نحن عليه وما نفكر فيه وما نفعله الآن؟»[(١)].

وفي الإجابة على سؤال: ما هي الأنوار؟ يقول إيمانويل كانط *Immanuel Kant* (١٧٢٤-١٨٠٤) -وهو من أشهر مفكري عصر التنوير- :«إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير، وإن المرء نفسه مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصًا في العقل، بل نقصًا في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير. تجرأ على أن تعرف! كن جريئًا في استعمال عقلك أنت! ذاك شعار الأنوار»[(٢)].

وفي أثر الحرية العقلية على التنوير يقول:«الاستعمال العمومي للعقل ينبغي أن يكون دائما حرًّا، وهو وحده قادر على نشر الأنوار بين الناس، بينما الاستعمال الخاص قد يكون في العديد من الحالات محدودًا بشكل صارم

---

(١) ماهي الأنوار، ميشيل فوكو، ترجمة حميد طاس ص(١).

(٢) جواب على السؤال: ماهي الأنوار، إيمانويل كانط ص(٨٥). وهو ضمن كتاب ثلاثة نصوص؛ تأملات في التربية، ماهي الأنوار، ماالتوجه في التفكير، لكانط.

دون أن يعوق ذلك بوجه خاص تقدم الأنوار»[١].

فالأنوار وفق تعريف «كانط» هي حالة الخروج من القصور إلى التطور والكمال باستخدام العقل بحرية كاملة وبجرأة، وترك التلقي والإرشاد أيا كان مصدره! فهو يريد الاستقلال عن جميع السلطات، والحرية والنضج غير المشروط، وهذا في حقيقته يعني إحلال «التشريع الذاتي بدل الشرع»[٢].

ويرى كاسيرر *Cassirer* (١٨٧٤-١٩٤٥) أن التنوير نظام من القيم جذوره مغروسة في العقلانية[٣].

ويعرف لالاند *Laland* (١٨٦٧-١٩٦٣) فلسفة الأنوار بأنها: «حركة فلسفية في القرن الثامن عشر، متميزة بفكرة التقدم، وبتحدي التقليد والسلطة، وبالإيمان بالعقل وبالآثار التهذيبية للتعليم، وبالدعوة إلى التفكير وإلى الحكم ذاتيًّا على الأمور»[٤].

ويرى برتراند راسل *Bertrand Russell* (١٨٧٢-١٩٧٠) أن التنوير عودة إلى تقدير النشاط العقلي المستقل، تستهدف نشر النور حيث كان الظلام يسود من قبل[٥].

ويذكر راسل أن حركة التنوير لم تكن مرتبطة ارتباطًا دائمًا بمدرسة

---

(١) جواب على السؤال: ماهي الأنوار، كانط ص(٨٨).

(٢) جدل التنوير، ماكس هوركهايمر و ثيودور أدورنو ص(١٣٥).

(٣) انظر:التنوير، دوريندا أوترام ص(٦٠).

(٤) موسوعة لالاند الفلسفية ص(٧٥٩).

(٥) انظر:حكمة الغرب، برتراند راسل(٢/ ١٠٨-١٠٩).

فلسفية معينة، وإنما كانت نتيجة الصراعات الدينية الدموية غير الحاسمة التي شهدها القرنان السادس عشر والسابع عشر، وارتبطت بانتشار المعرفة العلمية والاقتداء بآراء العلماء وعدم الارتكاز على سلطة أرسطو والكنيسة[١].

ويقول ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤): «الأنوار هو حدث أو مجموعة من الأحداث والصيرورات التاريخية المعقدة التي وقعت في لحظة معينة من تطورات المجتمعات الأوروبية، هذه المجموعة التي تضم عناصر من التحولات الاجتماعية ونماذج من المؤسسات السياسية وأشكالاً من المعرفة، ومشاريع لعقلنة المعارف والممارسات، وتحولات تكنولوجية يصعب جمعها في كلمة واحدة»[٢].

كما يُعرَّف التنوير بأنه: «رؤية مادية عقلانية تدور حول رؤية محددة للعقل وعلاقته بالطبيعة والمادة، وتتفرع عنها رؤية للتاريخ وللأخلاق والجمال»[٣].

أما بيتر غاي *Peter Gay*[٤] فيعرف برنامج التنوير بوصفه «برنامجًا من العداء للدين، والبحث عن الحرية والتقدم الذي يمكن تحقيقه بالاستعمال النقدي للعقل، من أجل تغيير علاقات الإنسان بنفسه وبالمجتمع»[٥].

---

(١) انظر: حكمة الغرب، (٢/ ١٠٧).

(٢) ما هي الأنوار، فوكو ص(١١).

(٣) فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، د.عبدالوهاب المسيري ص(١٣).

(٤) مؤرخ أمريكي معاصر مولود عام١٩٢٣.

(٥) نقلا عن التنوير، دوريندا أوترام ص(٦١).

ويلاحظ إجماع التعريفات السابقة على قيام التنوير على العقل الحر من أي سلطة بما فيها سلطة الدين، وجعل هذا التحرر وسيلة التقدم، وأشار بعضها إلى عداء التنوير للدين؛ باعتباره ظلماتٍ وجهلاً وخرافة.

لذا يمكن القول بأن التنوير حركة فكرية لادينية ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر، آمنت بالعقل مصدرًا للتشريع والأخلاق والمعرفة، وسبيلاً لتحقيق الحرية والتقدم، ونزع أي سلطة فوق العقل والعلم، جذورها ممتدة في عصر النهضة.

(٣) تاريخ ظهور المصطلح:

يؤكد بعض المؤرخين أنه ابتداء من سنة ١٦٧١م حلت كلمة التنوير محل الفكر والذكاء، وانتشرت بين الناس للدلالة على الفخر بتقدم الإنسان[١]، وقد وردت كلمة التنوير، والأنوار والاستنارة والمستنير، لدى مفكري القرن الثامن عشر، وعلى سبيل المثال كلمة الأنوار ترد كثيرًا في الموسوعة العلمية الشهيرة للعلوم والفنون والمهن، والتي أشرف عليها دينس ديدرو *Denis Diderot* (١٧١٣-١٧٨٤)، وفي إحدى مقالاتها يقول: «لا داعي لهذا الخوف، فظلمات الجهل لم تنحسر في أي عصر كما حصل في عصرنا، والفلسفة تتقدم بخطوات عملاقة، والتنوير يصاحبها ويتلوها»[٢].

وكان فولتير *Voltaire* (١٦٩٤-١٧٧٨) يستخدم مصطلح التنوير

---

(١) انظر: ما بعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة ص(٧٢).

(٢) نقلا عن مدخل إلى التنوير الأوروبي، هشام صالح ص(١٤٢).

للدلالة على عصره ولمعارضته بالعصر السابق له مباشرة: أي القرن السابع عشر[(١)].

ويقول فولتير عن التنوير: «يبدو لي أن التنوير يشع وينتشر في كل الجهات»[(٢)].

كما ورد في روح الشرائع لمونتسكيو، قول أحد شكاة محاكم التفتيش: «وتعيشون في قرن يبدو النور الطبيعي فيه أشد قوة مما في أي وقت مضى، في وقت أنارت الفلسفة فيه البصائر»[(٣)].

ويرد هذا المصطلح عند غريم *Grimm* (١٧٢٣-١٨٠٧) حيث يقول: «هناك نوع من البشر وهو الأغلبية ممن لا يؤثر فيهم التنوير الفكري، إنهم يظلون مصرين على الجهل والتعصب»[(٤)].

وبعد انتشار المصطلح ظهرت محاولات لتحديد معناه، ومن تلك المحاولات السؤال الذي طرحته صحيفة بريلينتش موناتشرف *Berliniche Monatsschrift* في برلين عام (١٧٨٤م) على قرائها، وطلبت منهم أن يرسلوا إجاباتهم عن: ما هو التنوير؟[(٥)] فجاءت إجابات عدد من الفلاسفة والمفكرين، وأشهر تلك الإجابات كانت مقالة «كانط»: «ما هي الأنوار؟».

---

(١) انظر: مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(٢٣٦).

(٢) نقلا عن مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(٢٣٧).

(٣) روح الشرائع، مونتسكيو (٢/ ٢٢٠).

(٤) نقلا عن مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(١٤٢).

(٥) انظر: جواب على السؤال: ما هي الأنوار، لكانط ص(٨٥)، ما هي الأنوار، ميشيل فوكو ص(١).

وفي العام ١٧٨٩م بات القول «إننا نعيش ونحيا في عصر التنوير»[(١)] مألوفًا.

وعليه فمفهوم **التنوير** كان موجودًا منذ أواخر القرن السابع عشر، ثم بات شعارًا على منهج وفكر في نهاية القرن الثامن عشر.

(٤)تحديد عصر التنوير:

هل التنوير مرحلة مر بها التاريخ الأوروبي وانتهى؟ وإذا كان كذلك فما هو عصر التنوير؟.

يرى البعض أن التنوير حركة فلسفية في القرن الثامن عشر[(٢)].

بينما يراه آخرون جزءًا من عصر أكبر يضم أيضًا عصر النهضة، حيث يرون أن فكر عصر التنوير يعود بجذوره إلى كتابات فرانسيس بيكون *Francis Bacon* (١٥٦١-١٦٢٦)، وديكارت *Descartes* (١٥٩٦-١٦٥٠)، وتوماس هوبز *Thomas Hobbes* (١٥٨٨- ١٦٧٩)، وسبينوزا *Spinoza* (١٦٣٢-١٦٧٧)، ولوك *Locke* (١٦٣٧-١٧٠٤)، ونيوتن *Newton* (١٦٤٢-١٧٢٧)، حيث كانت مؤلفاتهم مصادر فلسفة القرن الثامن عشر، وبهم نشأت الفلسفة المادية لعصر التنوير[(٣)].

---

(١) الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر، بول هازار ص(٤٣)، نقلا عن مابعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة ص(٧٢).

(٢) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية ص(٧٥٩).

(٣) انظر: فكر حركة الاستنارة، المسيري ص(١٠)، فلسفة الأنوار،جورج بوليتزر ص(٦)،التنوير، أوترام ص(١٨١).

يقول الدكتور المسيري: «هناك من يستخدم عبارة عصر العقل للإشارة إلى تلك الحقبة في التاريخ الفكري لأوربا في القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر التي انتشرت فيها الفلسفات العقلية، والرؤية العلمية والمادية الآلية بين أعداد كبيرة من الجمهور المتعلم، وفي أوساط بعض أعضاء النخبة الثقافية والسياسية، وقد أخذ هؤلاء يدعون بشكل واع لأفكار عصر العقل ابتداء من القرن الثامن عشر، يشار إلى هؤلاء الدعاة بكلمة «المستنيرين»، ويشار إلى هذه الحقبة من تاريخ أوربا الفكري بتعبير «عصر الاستنارة»، ولكننا لا نأخذ بهذا التمييز، ونشير إلى كلتا المرحلتين بعبارة «عصر الاستنارة»» [١].

كما يرى دالمبير *D'Alembert* (١٧١٧-١٧٨٣) أن عصر النهضة كان هو العصر التنويري الأول الذي مهد للقرن الثامن عشر [٢].

ووفقًا **لهذه** الآراء فمكونات فكر الأنوار غارقة في القدم لكن عملية تركيبها جديدة، إذ لم يقتصر الأمر على التنسيق فيما بينها، بل تجاوزه بخروج الأفكار من مظان **الكتب** إلى عالم الواقع خلال فترة الأنوار بالذات[٣].

وهناك من يؤكد أن التنوير مستمر وليس مرحلة مؤقتة، فقد كتب كل من كانط وهيجل *Hegel* (١٧٧٠-١٨٣١)، وهابرماس *Habermas* [٤]،

---

(١) فكر حركة الاستنارة ص(٩-١٠).

(٢) انظر: مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(١٤٢).

(٣) روح الأنوار، تزفيتان تودوروف ص(٩).

(٤) يورغن هابرماس: فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر ولد عام (١٩٢٩م).

وهوركهــــايمر *Horkheimer* (١٨٩٥-١٩٧٣)، وأدورنـــو *Adorono* (١٩٠٣-١٩٦٩) مقتنعين أن التنوير ليس مرحلة تاريخية منتهية ولكنه ما زال يؤثر على الحاضر سواء بالسلب أو الإيجاب[1]، يقول كانط: «إذا سألنا الآن: هل نعيش حاليًّا في عصر مستنير؟ يكون الجواب: كلا، بل في عصر يسير نحو الأنوار» [2]. كما وافقه فوكو على أن التنوير لم يكتمل آنذاك[3].

فالتنوير ليس مقتصرًا على عصر محدد بل هو فكر مستمر التأثير، ومنهج حياة اشترعه فلاسفة القرن الثامن عشر.

(٥)أعلام التنوير الأوروبي:

يرى المؤرخ الأمريكي بيتر غاي: أن مفكري التنوير كانوا على مراحل:

الجيل الأول للتنوير: جيل فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨)، ومونتسكيو *Montesquieu* (١٦٨٩-١٧٥٥).

يليه الجيل الثاني: يمثله دينيس ديدرو (١٧١٣-١٧٨٤)، وداليمبر (١٧١٧-١٧٨٣)، وجان جاك روسو *Jean Jacques Rousseau* (١٧١٢-١٧٧٨).

أما التنوير المتأخر: فهو الفترة الزمنية التي يغطيها جيل ليسينج *Lessing* (١٧٢٩-١٧٨١) وكانط(١٧٢٤-١٨٠٤)[4].

---

(١) انظر: التنوير لأوترام ص(٧٩).

(٢) ماهي الأنوار، ميشيل فوكو ص(٩٢).

(٣) انظر: ماهي الأنوار ص(١٧)، التنوير لأوترام ص(٧٨).

(٤) نقلا عن: التنوير، أوترام ص(٦١)، وانظر تصنيف مقارب في حركة الاستنارة للمسيري ص(١٠-١١).

وهؤلاء هم فلاسفة القرن الثامن عشر، وهم صناع التنوير، وقد كان لهم مواقف من الاستبداد الكنسي، والاستبداد السياسي والاقتصادي في عصرهم.

أما فولتير فمن مؤسسي الفكر التنويري، وقد راد حركة الأنوار في بعض مراحلها، ومؤلفاته وحياته تعكسان بوجه عام كامل مراحل عصر الأنوار في فرنسا وتناقضاته، حيث يعد فولتير بلا منازع فيلسوف الاستنارة الأكبر(١). ومن أشهر مؤلفاته القاموس الفلسفي الصادر عام ١٧٥٤م.

يقوم مذهب فولتير الاجتماعي على الحرية والملكية والمساواة. وعلى العكس من ديدرو «أعلن فولتير تأييده لفكرة النظام الاستبدادي المستنير(٢)»(٣)!، إلا أنه في آخر حياته كان يميل نحو الحكم الجمهوري(٤).

ولم يتجرأ فولتير على شن حربه الشعواء على الدين إلا بعد عام١٧٦٣، لتهيّبه للمسألة وخوفه من عواقبها(٥). وقد كان يدين بالمذهب الربوبي(٦)، رافضًا اعتناق دين محدد كالنصرانية، إلا أن فولتير وهو يؤمن «بأن الكذب

(١) انظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، هربرت فيشرص(٣٤٠)، فلسفة الأنوار ف.فولغين ص(٢٤).

(٢) الاستبداد المستنير نوع من الملَكية شديد التأثر بأفكار التنوير، حرية الرأي مكفولة لديهم بقدر ما. انظر: التنوير، لأوترام ص(٢٧٨)، حكمة الغرب (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: فلسفة الأنوار ف.فولغين ص(٣٥)، فكر حركة الاستنارة ص(١٨).

(٤) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(١٨).

(٥) مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(٢٣٦).

(٦) سيأتي التعريف به في أصول التنوير.

من أكبر الفضائل حين يفيد الإنسانية»، لم يتورَّع عن شيء من التصنع وتكلف التقوى أحيانًا، ثم ينقضها في موقف آخر من التاريخ ذاته،حتى امتلأت مواقفه وأقواله بالتناقض، لذا وفقًا لكريسون: «فإننا أبعد ما نكون عن الثقة بما يقول فولتير في أكثر الأحيان»[(١)].

لذا قال روسو عن فولتير: «الواقع أن فولتير–وإن بدا دائمًا مؤمنًا بالله–لم يؤمن قط بغير الشيطان»[(٢)].

أما ديدرو فهو أكبر فيلسوف فرنسي في القرن الثامن عشر، وقد أشرف على تأليف الموسوعة التي كان يريدها أن تقوم مقام الكتاب المقدس في المرجعية، وقد كانت الموسوعة العلمية الأثر البارز لعصر التنوير، بما فيها من تهميش تام للدين، بل وللفلاسفة الميتافيزيقيين، ووضع العلم والعقل فوق كل شيء[(٣)]، وقد كتب مع الموسوعيين عن الحق الطبيعي، والعقد الاجتماعي، وتحديد السلطة الملكية، ونادوا بفكرة سيادة الشعب، وانتقدوا نظرية الأصل الإلهي للسلطة الذي كرست من خلاله الكنيسة تسلطها.

وكانت الموسوعة تقدم إنجلترا على أنها نموذج يحتذى به في الملكية المعتدلة، مقتفية بذلك أثر الكتاب السياسيين آنذاك أمثال مونتسكيو، وفولتير، ففي إنجلترا يتقاسم الملك مع البرلمان صلاحيات السلطة

---

(١) انظر: فولتير حياته وآثاره، أندريه كريسون ص(٤٦-٤٧). أي لايمكن معرفة حقيقة موقفه من الشيء لتناقضه بسبب هذا المبدأ الذي اتخذه.

(٢) اعترافات جان جاك روسو، جان جاك روسو ص(٣٠٧).

(٣) انظر:حكمة الغرب (٢/ ١١١) بتصرف.

التشريعية، كما أكد ديدرو على أن الحكم الجمهوري قمين وحده بإسعاد الشعوب، وعارض هو وكتاب الموسوعة وهم المساواة المطلقة، ورأوا توزيع الثروات بين المواطنين بحسب أعمالهم وجهودهم، وهاجم الاستغلال والإثراء الفاحش[1].

وأما روسو فبرغم كونه ربوبيًّا، إلا أنه عرف بنقده للفلاسفة العقلانيين والماديين، وقد شن حربًا عليهم، وأقام فلسفته على الاستدلال بالشعور والوجدان[2]، وكان من أسباب ظهور الحركة الرومانسية[3].

كما أنه كتب عن الحق الطبيعي، والعقد الاجتماعي، وقدَّس ما سماه المجتمع الطبيعي الأول والذي يراه المجتمع المثالي، كما رأى ضرورة المساواة بين الناس، ومع نقده للملكية الخاصة وربطه لها باللامساواة، إلا

---

(١) انظر: فلسفة الأنوار، فولغين ص(١٠٩-١١١، ١٢١-١٣٣)بتصرف. مقدمة روح الشرائع، مونتسكيو ص(١٤).

(٢) انظر مواضع متعددة في: دين الفطرة، أو عقيدة القس من جبل السافوا، جان جاك روسو ص (٦٤،٥٤،٤٤، ٦٨، ٧٠-٧٦)، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، روسو ص(٢١٣).

(٣)الرومانسية يطلق في الأدب ضد الكلاسيكية، وفي الفلسفة ضد العقلانية، وهذا الأخير هو مذهب الفلاسفة الألمانيين في القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر؛ أمثال روسو، فيخته، وشيلنج، وهيجل، وشوبنهاور. وتتميز بتعظيم شأن الهوى والحدس والحرية والتلقائية، والتعلق بفكرة الحياة واللانهاية، وتحدي قواعد علم الجمال والمنطق واحتقارها. انظر: المعجم الفلسفي، صليبا (١/ ٦٢٨)، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، محمد مهران ص(٢٤-٢٥)، حكمة الغرب (٢/ ١١٥).

أنه يرى أن الواقع يكفي فيه العدل وتقليص الفوارق بين البشر[١].

وقد كان لروسو أثرٌ بالغٌ في فكر التنوير، حيث يعد كتابه العقد الاجتماعي الصادر عام ١٧٦٢، الإنجيل السياسي للثورة الفرنسية[٢].

ومن التجريبيين ديفيد هيوم (*David Hume* ١٧١١-١٧٧٦)، وفلسفتة تقوم على أن التجربة والخبرة مصدر المعرفة وليس العقل[٣]، وفسر السببية بأننا من خلال الحس والتجربة نرى الأشياء مرتبطة، فهي عادة اقترانية لا أكثر، وليس أثرًا مترتبًا على مؤثر ونتيجة ضرورية له، مقترنة به[٤]، وهو في حقيقته نفي للسببية. ردَّ عليه كانط، وقد ترتب على ذلك فلسفه هيوم في الشك وعدم وجود معارف يقينية لوجود الأغاليط في الحس.

أما كانط فقد نقد فلسفة هيوم، وحاول أن يوجد طريقًا وسطًا بين التجربة والعقل، وقال بأن الصورة التي تتخذها المعرفة، ومبادئُ التنظيم التي تحول المادة الخام للتجربة إلى معرفة، هي ذاتها لا تستمد من التجربة، وهذه المبادئ أطلق عليها كانط اسم المعرفة القبلية، ويقصد بها المبادئ العامة للعقل، وهي المستقلة من حيث المبدأ عن التجربة[٥]. وفي المسائل

(١)انظر: العقد الاجتماعي، روسو ص(٣٩-٤١، ٧٢) ترجمة: عادل زعيتر، مقال في أصل اللامساواة، روسو ص (١١٣،١٠١، ١٢٥، ١٤١).

(٢)انظر: فلسفة الأنوار، فولغين ص(٢٣٠-٢٣١)، أصول التاريخ الأوروبي الحديث ص(٣٤٤).

(٣)انظر: مبحث في الفاهمة البشرية، ديفيد هيوم ص(٢٢١،١٩١،١٠٥).

(٤)انظر: مبحث في الفاهمة البشرية ص(٩٥) ومابعدها، حكمة الغرب (٢/ ١١٧).

(٥) انظر: نقد العقل المحض، إيمانويل كانط ص(٤٥-٤٧)، قصة الفلسفة، ول ديورانت ص(٣٣٣). وهذه المعرفة هي التي يسميها ابن تيمية العلوم العقلية الضرورية.

السياسية كان ليبراليا، أما في ميدان الدين فقد كان يمثل نوعًا من البروتستانتية غير التقليدية[١]. كما طالب بتشييد الدين على الأسس الأخلاقية المطلقة، غير المستمدة من التجربة أو الاستنتاج والعقل، وهي المبادئ الأخلاقية المسلم بها، والتي جعلها برهانًا على وجود الله[٢]، وهو الشعور والوجدان الذي نادى به روسو.

كما أن من أعلام التنوير مونتسكيو، وكتابه الشهير روح القوانين «روح الشرائع» الصادر عام ١٧٤٨ كاد «أن يكون الكتاب المقدس لكل مستنير»[٣].

وقد كانت كل من فرنسا وإنجلترا وألمانيا أقطابًا للتنوير الأوروبي، وتصنف إنجلترا على أنها ملهمة التنوير الفرنسي، لسبقها لمبادئ التنوير، ولكون أشهر علماء الفيزياء والطبيعة والسياسة والتاريخ الذين أخذ عنهم فلاسفة التنوير هم إنجليز، أمثال: نيوتن، هوبز، جون لوك، فرانسيس بيكون. وقد استقر فولتير في إنجلترا جزءًا من حياته، وهاله قدر الحرية التي يتمتع بها الإنجليز، كما قرأ فلسفة نيوتن الفيزيائية والطبيعية، واطلع على فلسفة بيكون ولوك. كما زار مونتسكيو إنجلترا وتحدث بإعجاب عن الحرية السياسية فيها[٤].

---

(١)انظر: حكمة الغرب (٢/ ١١٨).

(٢)انظر: نقد العقل العملي، إيمانويل كانط ص(٦٣-٨٢-٨٣)، قصة الفلسفة ص(٣٤٩-٣٥٣).

(٣) الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر من مونتسكيو إلى ليسنج، بول هازار ص(١٨٨)، نقلاً عن مابعد الحداثة والتنوير ص(٨٢).

(٤) انظر حول فولتير ومونتسكيو: أصول التاريخ الأوروبي الحديث ص(٣٤٠).

بينما كانت فرنسا غالبًا ما يُنظر إليها «باعتبارها قلب التنوير»[(١)]، حيث إن أشهر وأجرأ فلاسفة التنوير كانوا فرنسيين، أمثال: فولتير، روسو، مونتسكيو، ديدرو، دالمبير، كيني، ولأن التنوير فيها لم يأت بسهولة بل انتهى بالثورة.

أما ألمانيا فقد كانت من أقطاب التنوير لظهور عدد من فلاسفة التنوير المؤثرين فيها، أمثال: كانط، ليسينج، دولباخ.

---

(١) انظر: التنوير لأوترام ص(٢٩٠).

المبحث الثاني
أصول التنوير الأوروبي

يتفق معظم الباحثين على القول بأن عصر التنوير يشكل منعطفًا تاريخيًّا حاسمًا في الحضارة الأوروبية، ففيه تشكلت المبادئ والأسس التي لا تزال تتحكم بالغرب منذ ما يزيد على مائتي سنة وحتى اليوم[(١)]، رغم تعدد المذاهب والحركات الفكرية في هذه الحقبة الزمنية.

ولقد قام التنوير الأوروبي على أصول بدت واضحة وظاهرة في كتابات أعلام التنوير، ومؤلفاتهم، ومطالبهم، وسجالاتهم، من خلال نقدهم الجريء للدين، وإصرارهم على أن التقدم منوط بالاستعمال النقدي والحر للعقل، وفي التركيز على العلم الدنيوي، والتحرر من الدين والمجتمع والأعراف، إلى درجة أوصلتهم للمادية الملحدة، وتأليه الإنسان.

وفيما يلي عرض لهذه الأصول:

الأصل الأول: نقد الدين وعزله والاستقلال التام عن سلطته:

حيث كان تركيز فلاسفة التنوير على نقد الدين وعزله، وإبطال سلطته، والاستقلال التام عنه في إدارة شؤون الحياة، وأن حقيقة التقدم، بالتخلص من الموروثات السابقة، و«نزع القداسة عن المقدسات الدينية ومنها الوحي والكتب المقدسة وإخضاعها في الدرس لمعايير النصوص البشرية»[(٢)].

---

(١) انظر: مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(١٤٤-١٤٥)، روح الأنوار ص(٧).

(٢) الإسلام بين التنوير والتزوير، محمد عمارة ص(٣٤).

فمن الواضح أن التنوير حركة موجهة ضد الدين بشكل خاص، فالتسلط الكنسي، والحروب الدموية التي قامت بين الطوائف النصرانية[١]، وما في الدين النصراني المحرف من مصادرة للعقل، ومصادمة للفطرة، كان من أسباب ظهور حركة التنوير.

وقد تفاوت فلاسفة التنوير في التصريح بموقفهم من الدين، فمن مقتصر على المطالبة بإعمال العقل في شرح النصوص المقدسة والمسائل الدينية، وعدم قبول تفسيرات وتوجيهات رجال الدين، ونزع وصايتهم الدينية على الناس، إلى مطالب بفصل سلطة الدين عن الحياة والسياسة، إلى مهاجم للدين بقساوة وضراوة كما فعل فولتير، ومطالب بخضوع الدين لقانون الدولة. وما بين مُنظِّر للدين الطبيعي والربوبية، إلى مصرح بالإلحاد في نهاية المطاف كما فعل الماديُّون.

ولقد كانت البدايات في نقد الدين غير صريحة وغير مباشرة نظرًا لتخوفهم من ردة فعل الكنيسة، بل ومن ردة فعل الشعب نفسه، فقد حورب «روسو» وطرد ليس من قِبَل الكنيسة وحسب، بل من قبل الشعب، حتى قد رموه بالحجارة إذ اعتبروه عدوًّا للمسيح[٢]، لذا عمد بعض فلاسفة التنوير إلى استخدام المجاز وما يحتمل التأويل كي لا تُرفض أفكارهم

(١) انظر نماذج لتلك الحروب ومنها حرب الثلاثين عامًا، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، هربرت فيشر ص(٢٣٥).

(٢) انظر: اعترافات جان جاك روسو ص(٤٥٥،٤٢٨،٤٣٩-٤٥٦)، وقد عزاها روسو إلى تحريض رجال الدين، ومكائد بعض معاصريه من الفلاسفة.

وطروحاتهم. كما عمد بعضهم إلى تسجيل مؤلفاتهم بأسماء مستعارة خوفًا من عواقبها كما فعل فولتير[١]. وبعضها طبع بدون اسم كما فعل مونتسكيو في الرسائل الفارسية حيث طبع أربع مرات بدون اسم[٢].

وقد احتلت حرب فولتير على -مايزعم- أنه الأباطيل والخرافات والأحكام المسبقة المرتبطة بالدين، مكان الصدارة في نشاطه الفكري، وكانت الكنيسة هي العدو الرئيس في نظر فولتير، لذا رسم لوحة إجمالية عن جرائم الكنيسة لا تخلو من الشطط والمبالغة[٣].

ويعزو ديدرو إلى الدين وإلى المعتقدات الباطلة وإلى الأخلاق المشتقة منها، دورًا خاصًّا في تكوين الرأي العام المعاكس لحقوق الإنسان الطبيعية والمناهض لها، فالديانات السائدة على الأرض هي في رأيه نسيج من ادعاءات كاذبة، كما يرى أن العقل خصم الإيمان وعدوه[٤].

وبرأي ديدرو فإن التحالف مع الدين يعود بالفائدة للطغاة! وإن القانون الديني ينفرد بطابع من عدم الجدوى، إن لم يكن بطابع من الخطورة والضرر، وأن الطبيعة هي المشترع الأسمى[٥].

---

(١) انظر هذه المؤلفات في فولتير: حياته وآثاره، ص(٤٦).

(٢) انظر: مقدمة روح الشرائع ص(١٢).

(٣) انظر: فلسفة الأنوار ف.فولغين ص(٢٦) بتصرف. فولتير، حياته وآثاره ص(٩٠-٩٢).

(٤) انظر: ملاحظات حول التعليم، ديدرو، ص(٦٥)، نقلا عن فلسفة الأنوار، فولغين ص(١٢١).

(٥) انظر: تتمة لرحلة بوغنفيل، ديدرو ص(١٧٩)، نقلا عن فلسفة الأنوار، فولغين ص(١٢١).

كما يرى أن الدين كان في الماضي واحدًا من أهم عناصر حياة المجتمع البشري، وقد وسم بميسمه القوانين نفسها، وساهم في صنع الأصفاد التي تكبِّل البشرية وتقيدها، لكن الأديان تضعف وتنقرض بالتدريج؛ لأنها تعجز -كما يقول ديدرو- عن الصمود في زخم الطبيعة الذي ردنا باستمرار إلى إمرة قانونها[١].

وفي نقد الدين وبيان الاستغلال السيء له عند ذوي النفوذ، يقول بوليتزر *Pulitzer* (١٩٠٣-١٩٤٢): «من الضروري حتى نفهم فلسفة الأنوار أن نمحص السمات الكبيرة لذلك الإقطاع في الأفكار، المعاني الكبيرة للنظام الذي وجد فيه الإقطاع تعبيره الإيديولوجي...إن العنصر الأساسي في هذه الإيدولوجيا هو الدين»[٢]. ويقول: «نقد الدين هو أساس كل نقد»[٣].

ويبين أن الحرب التي شنتها فلسفة الأنوار هي«نضال ضد اللاهوت، ضد الميتافيزياء ضد مجمل المعتقدات الدينية...» [٤].

ويقول تودوروف *Todorov*[٥]: «إن الوصاية التي كان الناس يعيشون تحت وطأتها قبل عصر الأنوار كانت وصاية ذات طابع ديني في المقام

---

(١)انظر:الأعمال الكاملة، ديدروم١،ص(٤٧٦)، نقلا عن فلسفة الأنوار، فولغين ص(١٢٥).

(٢) فلسفة الأنوار، جورج بوليتزر ص(٢).

(٣) فلسفة الأنوار ص(٣).

(٤) فلسفة الأنوار ص(٧).

(٥) فيلسوف فرنسي من أصل بلغاري ولد عام١٩٣٩، وهو يعيش الآن في فرنسا.

الأول... ولهذا ستوجه أكثر الانتقادات إلى الدين بالذات»[١].

أما الاستقلال عن أي سلطة خارجية فقد كان هو الهدف من نقد الدين، وقد ترتب عليه التطرف في الفردية، وفرض هيمنة الإنسان. «فالمبدأ الكانطي مثل مبدأ نيتشه كلاهما يرمي للاستقلال عن القوى الخارجية، النضج اللامشروط الذي يحدد ماهية التنوير»[٢].

وبهذا قامت الدول الغربية الحديثة على أسس بشرية خالصة، بعيدًا عن أي توجيه ديني.

الأصل الثاني: تأليه العقل، والحرية الكاملة في استعماله:

بعد نقد الدين وعزله عن الحياة، كان لا بد من إيجاد مرجعية بديلة، وقد اضطربوا في تحديد مصدر المعرفة: أهو العقل، أم الحس والتجربة، أم الوجدان والشعور؟وهل هناك علوم ضرورية فوق العقل والتجربة؟. إلا أن الذي طغى هو العقل برغم الموجة العاتية من الرومانسية في تحجيمه.

إن من أوصاف عصر التنوير أنه عصر العقل، وقد كتب كوندورسيه *Condorcet* (١٧٤٣-١٧٩٤) وهو في السجن كتابه عن تقدم النفس الإنسانية في عام ١٧٩٣ أوضح فيه ثقة القرن الثامن عشر في المعرفة والعقل. بل اخترع الناس كائنًا أسمى خصصوا للاحتفال به يومًا معينًا، وكان ذلك في جوهره تأليهًا للعقل[٣]. كما وضع مونتسكيو كتاب العقل «ودعا فيه إلى

---

(١) روح الأنوار ص(١١).

(٢) جدل التنوير ص(١٣٥).

(٣) انظر: قصة الفلسفة ص(٣١٧)، حكمة الغرب(٢/ ١١٣).

الإيمان بالعقل وحده»[(١)].

ويؤكد كانط على ضرورة الحرية المطلقة في استخدام العقل، وهو يلمح في ذلك إلى إبطال هيمنة رجال الدين، والحكام المرتبطين بهم، يقول:«إذا سألنا الآن: هل نعيش حاليًّا في عصر مستنير؟

يكون الجواب: كلا، بل في عصر يسير نحو الأنوار، وما زال يلزمنا الكثير في الحالة الراهنة التي عليها الأمور، حتى يقدر الناس في مجموعهم أو تتاح لهم القدرة لا غير على استعمال عقولهم بثبات وإحكام في أمور الدين دون إرشاد الغير»[(٢)].

كما أكد على أن الاستنارة هي منح الحرية الكاملة للناس في أمور الدين والعقيدة بالذات، وأن هذا هو الخروج من حالة القصور، يقول:«في تناولي لبلوغ الأنوار الذي يتمثل بالنسبة إلى الإنسان في الخروج من القصور الذي هو مسؤول عنه اعتبرت المسائل الدينية جوهرية، لأنه فيما يتعلق بالفنون والعلوم ليس للحكام أي مصلحة في ممارسة دور الأوصياء على رعاياهم، أضف إلى ذلك أن القصور في مجال الدين هو من بين أنواع القصور أكثرها مضرة وعارًا في آن واحد. ولكن طريقة التفكير عند رئيس دولة يساعد على نشر الأنوار تذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، لتقر بأنه حتى فيما يخص التشريع الذي سنّه، لا خطر في السماح لرعاياه بأن يستعملوا عقولهم بالذات استعمالاً عموميًّا، ويقترحوا علنًا على جميع الناس أفكارهم حول صياغة

---

(١) اعترافات جان جاك روسو ص(٤٢٨).

(٢) ماهي الأنوار،ضمن ثلاثة نصوص، لإيمانويل كانط ص(٩٢).

أفضل لهذا التشريع»[(١)].

فالرؤية الاستنارية لا تقبل إلا بالقوانين التي يتوصل إليها العقل الإنساني استنادًا إلى حقائق الطبيعة والمادة، وترفض أي غائيات. ومن هنا رفض المستنيرون الفلسفات المدرسية اللاهوتية التي تطرح أسئلة غائية، مثل: لماذا خلق الله العالم؟ ولم يقنعوا بالتفسيرات الغائية التقليدية. وأصبح السؤال هو كيف خلق الله العالم، وكيف يسيره؟ ثم تصاعدت معدلات الاستنارة والعلمنة وتراجعت الغائية، وأصبح السؤال هو: ما هي بنية الكون؟ وما هي آلياته وحركاته؟ وما هي القوى التي تدفعه من داخله؟ أي أنه ألغيت أي نقطة مرجعية خارجة عن المادة [(٢)].

وبهذا تمخض الإيمان بالعقل الذي دعا إليه فلاسفة التنوير عن الإلحاد والنزعة المادية. «فإن العقلانية من جانبها تعزل الشعور -كما تعزل الدين- عن كل ما يستحق اسم المعرفة، وبذلك تظهر قرابتها مع الوضعية الحديثة، أي آخر مخلفات الأنوار» [(٣)].

ولم يلبث أن نهض الإيمان بالدين إلى استجواب أهلية العقل، الذي حكم عليه بالبطلان، ودعا إلى اختبار العقل ونقده، إلا أن بعض من نقدوا العقل كانوا من نقاد الدين أيضًا[(٤)]، أمثال روسو.

---

(١) ما هي الأنوار ص(٩٣).

(٢) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٤٤)، مبحث في الفاهمة البشرية لهيوم، مقدمة المترجم د.موسى وهبة ص(١١).

(٣) جدل التنوير ص(١١١).

(٤) انظر: قصة الفلسفة ص(٣١٨-٣١٩).

الأصل الثالث: الدين الطبيعي:

بالنظر في التراث الفكري لمفكري التنوير نجده ما بين الدين الطبيعي أو ما يسمى بالمذهب الربوبي، وما بين وحدة الوجود، والإلحاد الصريح. وكان الدين الطبيعي هو الغالب على مفكري القرن الثامن عشر بالذات، يقول روسو: «إن أنوار العقل لا تستطيع أن تتعدى بنا حدود الدين الطبيعي»[(١)].

والربوبية *Deism*: أو ما يسمى بالدين الطبيعي،أو التأليه الطبيعي[(٢)]، هي القول بأن الكون يسيره كائن أسمى، عاقل قادر حكيم، ذو إرادة وقصد، وقد يسمونه الرب، والإله، وقد وضع قوانين الطبيعة، ثم ترك الكون يعمل وفقها، ولا يتدخل بعد ذلك في شيء، لكن لا يعلمون ولا يهمهم أن يعلموا أين هو، وهل هو عين العالم، وكلام بعضهم فيه متناقض، وهل الكون أزلي أم لا، ومن هؤلاء روسو، وفولتير، رغم ما بينهما من اختلاف في التفصيل[(٣)]، كما اختلفوا في طرق معرفة الرب: هل هو العقل أم الوجدان؟ واتفقوا على إنكار النبوات والمعجزات.

وقد كان فولتير ربوبيًّا يؤمن بأن الإله هو المحرك الأول وأن ثمة علة نهائية وعقلاً أعلى ومهندسًا أسمى في الكون. والإله ليس جوهرًا مستقلاً، وإنما هو

---

(١) إميل، روسو ص(٢١٩).

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية، لالاند ص(٢٥٦-٢٥٨).

(٣) انظر:دين الفطرة، أو عقيدة القس من جبل السافوا، روسو ص (٤٢-٤٨)، إميل، روسو ص(٢٠٦-٢٠٨)، فولتير حياته وآثاره ص(١١٦-١١٧)، الدين الطبيعي، جاكلين لاغريه ص(٧١-٧٧).

حالٌّ في الطبيعة جزء لا يتجزأ منها، وتنكمش إرادته وتتقلص لتصبح هي مبدأ الحركة الأولية في الطبيعة، وكان فولتير يقرن بين الإله والطبيعة وانتقد بحدة ثنائية الروح والجسد، فالروح ليست شيئًا مستقلاً عن المادة[١]. يقول فولتير: «وحين أقتنع بأني لست أدري ما أنا، ولا أستطيع أن أعرف من خالقي، أجد جهلي يضنيني، وأسلي نفسي بأنه لا يهمني أن أعرف ما إذا كان خالقي موجودًا في المتسع أم لا، إذا أنا لم أفعل شيئًا يناقض الوجدان الذي منحني إياه. وإذا سئلت من بين جميع الأنظمة الإلهية التي اخترعها الإنسان، أيها سأعتنق؟ أجبت: لن أعتنق أيا منها، بل سأعبد الله»[٢].

أما روسو فيقول: «أما هل هذا العالم أزلي أم مخلوق؟ وهل هناك مبدأ واحد لجميع الأشياء أو مبدآن أو أكثر؟ هذا كله لا أعرف عنه شيئًا، ولا يعنيني أن أعرف عنه شيئًا»[٣]. وقد نادى بتقديم الشعور والأحاسيس على العقل، ووقف في فرنسا يحارب المادية والعقلانية[٤]، ولذا نتج عنه حركة مضادة للعقلانية وهي الرومانسية.

أما القائلون بوحدة الوجود *Pantheism* فهم من يقول بوجود الله لكن يجعل الكون عين وجوده، على اختلاف بينهم في فلسفة ذلك، بعضهم يقول الله الموجود ليس مجرد كائن خارجنا، ولكن داخلنا وحوالينا باعتباره

---

(١) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(١٨)، فولتير حياته وآثاره ص(١٠٨-١١٨).

(٢) القاموس الفلسفي، نقلاً عن فولتير حياته وآثاره ص(١١٦-١١٧).

(٣) إميل ص(٢٠٧).

(٤) انظر: دين الفطرة، روسو، ص(٢٨، ٤١-١٢٨،٤٩-١٣٣)، إميل ص(٢١٠).

شخصية كل الشخصيات، والبشر ليس لهم وجود حقيقي تمامًا، بل الله هو الحقيقة الوحيدة وفي وجود الله يستمر بقاء ما هو حقيقي فينا، وهذا الرأي يغلق الباب أمام التفسير الآلي الميكانيكي للحياة، وهو مرتبط بفلسفة هيجل(١٨٣١م) في وحدة الوجود[١].

وترجع الجذور القريبة للقول بالوحدة إلى سبينوزا (١٦٧٧م) حيث يرى أن الإله مطلق الوجود، أي أنه نموذج للحياة الحقة، وحاضر في كل مكان، وقد كان من أوائل الذين تجرؤوا على نقد النصوص المقدسة ومهاجمتها[٢].

ويرى راسل أن مذهب ديدرو العقدي قريب من مذهب سبينوزا في وحدة الوجود[٣]، وقد زعم ديدرو أن المادة حية بذاتها وأن الحركة باطنة في المادة وفي جميع الكائنات[٤]، وبعد مرحلة من الإيمان بالربوبية، اقترب من فكرة أن الإله قد مات باعتبار أن الإله حالٌّ في عالم الكون، وأصابه ما يصيب المخلوقات الأخرى من فساد[٥]، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وقد كتب عن قوانين الطبيعة قائلاً: «إن الطبيعة هي التي تسن جميع القوانين الصالحة، أما المشترع فهو الذي يعلنها ويعممها»[٦]، والناموس

---

(١) انظر: الدين والعلم، راسل ص(١٩٥-١٩٨).

(٢) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا ص(٣٥٠).

(٣) انظر: حكمة الغرب(٢/ ١١٢).

(٤) انظر:التنوير لأوترام ص(١٨٩)، فكر حركة الاستنارة ص(٢٠).

(٥) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٢٠).

(٦) ملاحظات حول التعليم،ديدرو ص(٨٨)، نقلا عن فلسفة الأنوار، فولغين ص(١٠٩).

الأعظم هو ناموس الطبيعة الذي نقشت مبادئه في قرارة كل وجدان[١].

ويؤمن دعاة الاستنارة أنه ما دام الإنسان مرتبطًا بالطبيعة مهتديًا بهديها فإنه سيصل إلى الطريق المستقيم ويصل إلى المنظومات المعرفية والأخلاقية التي تخدم مصالحه وتحقق التقدم اللانهائي[٢].

أما التحول إلى الإلحاد الصريح فنجده عند الماديين أمثال هولباخ *Holbach* (١٧٢٣-١٧٨٩) في كتابه نظم الطبيعة الصادر عام (١٧٧٠م) حيث زعم أن العالم المادي من صنع نفسه، وأن كل شيء يحكمه قانون الضرورة وشبكة السببية الصلبة المطلقة، وقد هاجم الدين بضراوة في عدد من الكتب[٣]. وتركزت المادية في فرنسا بالذات، يقول إنجلز *Engels* (١٨٢٠-١٨٩٥): «كانت مادية القرن الثامن عشر الفلسفة الفرنسية عقيدة الثورة الفرنسية»[٤]، هذه المادية التي استفادت منها الماركسية فيما بعد، وبنت عليها فكرها المادي.

بينما استمرت النظرة اللاهوتية للطبيعة التي تعكس الصفات الإيجابية للخالق، لها من يقبلها وبخاصة في بريطانيا[٥].

وقد رد بعض فلاسفة التنوير من الربوبيين على الإلحاد الصريح-وإن كان

---

(١) انظر: فلسفة الأنوار، فولغين ص(١٠٩).

(٢)انظر:فكر حركة الاستنارة ص(١٦)بتصرف.

(٣) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٢٠-٢١) بتصرف.

(٤) نقلا عن فلسفة الأنوار، بوليتزر ص(١).

(٥) انظر:التنوير لأوترام ص(١٩١).

حقيقة مذهبهم ترجع إلى الإلحاد- وشنعوا القول بالصدفة، يقول روسو: «كم من افتراضات غبية يلجأ إليها بعض الناس لإضافة هذا التكامل العجيب إلى تطورات عشوائية تجري في مادة تتحرك اعتباطًا...لا أستسيغ[١] رغم جهودي الصادقة أن تكون المادة الجامدة الميتة قد أنتجت كائنًا ذا حياة وإحساس، أن يكون الدهر قد أبدع من غير قصد كائنات عاقلة، وأن ما لا يفكر قد أنشأ كائنًا يفكر»[٢]، ويقول: «أن ينبثق تلقائيًّا الوجود عن العدم والعدم عن الوجود، المرة بعد الأخرى،فهذا تناقض واضح ومحال جلي»[٣].

ويقول مونتسكيو: «ومن قال «إن قدرًا أعمى أوجد جميع المعلولات التي نبصرها في العالم» يكون قد قال محالاً عظيمًا، فأي محال أعظم من قدر أعمى أحدث موجودات مدركة؟ إذن يوجد عقل أولي، والقوانين هي الصلات بين هذا العقل ومختلف الموجودات.. ولله صلة بالكون خالقًا وحافظًا»[٤].

ومع إقرار هؤلاء بالرب، إلا أنهم رفضوا الالتزام بالدين، فقد كان التوجه لحرية التعبد بالطريقة التي يختارها المرء، دون تقيد بدين أو بشعائر.

الأصل الرابع: الحرية والتسامح :

شكلت الحروب الدينية الرهيبة التي قامت بين البروتستانت والكاثوليك وغيرها من الطوائف الدينية، والعقابات التعسفية التي تطال من

---

(١) بل يستحيل!.

(٢) دين الفطرة ص(٤٦-٤٧) وانظر: (٤٤-٤٥)، إميل ص(٢٠٧).

(٣) دين الفطرة ص(٦٦).

(٤) روح الشرائع (١/ ١١).

يتجرأ على مخالفة تفسيرات الكنيسة، والحكم المطلق المستند على الحق الإلهي، ردة فعل عنيفة لدى مفكري التنوير، فإضافة إلى نقدهم الدين، وتهميشه، دعوا إلى الحرية والتسامح الديني[١]، وبناءً على وحدة الأديان التي أثمرها المذهب الطبيعي، ونفي الحقيقة المطلقة، فالكل محق، ولا بد من المساواة بين الناس بحكم أن الإنسانية تجمعهم، يقول روسو: «فلباب الأديان جميعها واحد... والمهم يا ولدي أن تؤمن بالله ولا تشك في وجوده بتاتًا»[٢]. وقال: «وبشر دائمًا بالإنسانية والتسامح»[٣].

ويقول كانط: «رغم تنوع الأديان توجد وحدة بينها في كل الأصقاع»[٤]. ومن التسامح؛ الحرية في التزام أي دين أو تركه.

وفي تقرير أحقية الحرية يقول روسو: «ولد الإنسان حرًّا، وفي كل مكان هو الآن يرسف في الأغلال»[٥].

ويقول جون ستيوارت ميل *John Stuart Mill* (١٨٠٦-١٨٧٣): «لقد

---

(١) وقد سبقهم جون لوك في تأليف رسالة في التسامح مع المخالف في المعتقد، وحرية تغيير العقيدة، ويطالب فيها السلطة المدنية بعدم التدخل في صلاح النفوس، وهو يعني فصل الدين عن الدولة ص(٢٣-٢٩)، وفي مطالبته بالحرية والمساواة، انظر كتابه في الحكم المدني ص(١٥٠-١٧١) ومجمل الكتاب بني على ذلك.وانظر كذلك مونتسكيو في روح الشرائع(٢/ ٢١٤-٢١٦).

(٢) إميل ص(٢١٧).

(٣) إميل ص(٢١٨).

(٤) تأملات في التربية، كانط ص(٧٨).

(٥) العقد الاجتماعي، روسو، ترجمة عبدالعزيز لبيب ص(٧٨).

أكد الكُتّاب العظام الذين يدين لهم العالم بالحرية الدينية التي يمتلكها، على أن حرية المعتقد هي حق ثابت مصان، واستنكروا أن يتعرض الإنسان لمساءلة الآخرين بسبب معتقده الديني»[١].

ولتحقيق ذلك يجب الفصل بين السلطة الدينية والسياسية، فليس من حق الحاكم إنزال العقوبة المتعلقة بالدين[٢].

تعريف الحرية:

والحرية أوسع من مجرد الحرية الدينية، بل تشمل الحرية المطلقة في جميع نواحي الحياة، في اختيار المعتقد والفكر، والتجمعات،وفعل ما يحب المرء فعله أيًّا كان، وحتى لو أضر الإنسان بنفسه، ما لم تضر الآخرين، أو تخالف القوانين، يقول جون ستيوارت: «الحرية الوحيدة التي تستحق الاسم هي تلك القائلة بسعينا وراء مصلحتنا بطريقتنا الخاصة، طالما كنا لا نحاول أن نحرم الآخرين من حقوقهم، أو نعرقل جهودهم في الحصول عليها»[٣].

ويعرف فولتير الحرية بقوله:«إن الحرية تتمثل في ألا يخضع المرء إلا للقوانين»[٤]، ويؤكد هذا روسو بقوله:«وكنت أود أن أحيا وأموت حرًّا، أي خاضعًا للقوانين، بحيث لا أستطيع أنا ولا يستطيع أحد التمرد على نيرها الموقر»[٥].

(١) عن الحرية، جون ستيوارت مل، ص(١٣).

(٢) رسالة في التسامح ص(٢٣-٤٧،٢٩)، روح الشرائع، مونتسكيو(٢/ ٢٣٨).

(٣) عن الحرية، جون ستيوارت مل، ص(١٩)،وانظر ص(١٨).

(٤) انظر: فلسفة الأنوار ف.فولغين ص(٣٣).

(٥) مقال في أصل اللامساواة بين البشر، روسو ص(١٧).

ويُفهم من هذا ارتباط الحرية بالمساواة بين الناس بحكم خضوعهم جميعًا دون فرق للقانون، كما يتضمن التحرر من سلطة الموروث الديني والعرف الاجتماعي.

الديمقراطية:

كانت الدعوة إلى الديمقراطية نوعًا من التحرر من القيادة الدينية، والحكم المطلق، والفوارق الطبقية التي تبعتها، حيث كان أهم مبادئ الديمقراطية سيادة الشعب، وتقرير حقوق الأفراد وحريتهم، والمساواة بينهم. يقول مونتسكيو: «المساواة الحقيقية هي روح الدولة في الديمقراطية»[(١)]. ويقول روسو: «السلطة التشريعية تعود إلى الشعب، ولا يمكنها إلا أن تعود إليه هو بالذات»[(٢)]. إلا أنهم يعترفون باستحالة وجود ديمقراطية بمعناها الدقيق. يقول روسو: «إذا أخذنا لفظ ديمقراطية في معناه الدقيق بان أن الديمقراطية الحقانية لم توجد قط ولن توجد أبدًا. فإنه لمما يضاد النظام الطبيعي أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر محكومًا»[(٣)].

ويقول مونتسكيو: «للديموقراطية حدان مفرطان يجب اجتنابهما، وهما: روح التفاوت التي تسوقها إلى الأريستوقراطية أو إلى حكومة الفرد، وروح المساواة المتناهية التي تسوقها إلى استبداد الفرد، كما أن استبداد الفرد

(١) روح الشرائع ص(١/ ٧٤).

(٢) العقد الاجتماعي ص(١٤٦)، ترجمة:عبد العزيز لبيب.

(٣) العقد الاجتماعي ص(١٥٨)، ترجمة:عبد العزيز لبيب.

ينتهي بغزو البلاد»[١].

هذه باختصار أصول ومبادىء التنوير الأوروبي؛ فكيف يدعو إلى هذا التنوير بكيفيته الأوروبية، وبأصوله الفرنسية، مَنْ يدَّعي الإسلام!.

---

(١) روح الشرائع ص(١/ ١٦٨).

المبحث الثالث: التنوير في البلاد الإسلامية

انقسم التنوير في البلاد الإسلامية إلى نوعين:

الأول: تنوير علماني، وهو نسخة مطابقة للتنوير الفرنسي.

الثاني: ما يسمى بالتنوير الإسلامي.

الأول: التنوير العلماني:

ويسمى تيار التغريب أو التيار الحداثى[١]. وأتباع هذا التيار تركوا الفكر الإسلامى إلى الفكر الليبرالى، ونقدوا التراث الإسلامى والإسلاميين، حتى وصل الأمر بأكثرهم إلى نقد ثوابت الدين، بل بعضهم يرى أن نبذ الدين هو الحل النهضوي. ويمثل الجانب الفكري بعض دعاة التغريب كطه حسين، وحسن حنفى، ومحمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي، وفؤاد زكريا، وغيرهم[٢].

وقد صرح المستنيرون العرب هنا بضرورة التزام التنوير الغربي بكل ما فيه من سلب وإيجاب. يقول طه حسين مبيِّنًا سبيل النهضة: «هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون

(١) انظر: مقال خارطة التنوير من التنوير الغربي إلى التنوير الإسلامي،فهمي سالم، مجلة البيان الإلكترونية، العدد ٣٠٢، شوال ١٤٣٣هـ *albayan.co.uk* .

(٢) انظر: التنوير الإسلامي في المشهد السعودي، عبد الوهاب آل غظيف ص(١٢)، مقال خارطة التنوير، فهمي سالم، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة(٢/ ١٠٤٧).

لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب»[١]. ووضح ذلك بقوله: «أن نتعلم كما يتعلم الأوربي لنشعر كما يشعر الأوربي، ولنحكم كما يحكم الأوربي، ثم لنعمل كما يعمل الأوربي، ونصرف الحياة كما يصرفها»[٢]. ويقول سلامه موسى: «إننا في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان،... ويجب أن نفصل الدين عن الدولة، ونلغي تعليمه في المدارس»[٣].

ويقول محمد الحمود مبيِّنًا القيم والرؤى التنويرية: «أولوية الإنسان، أولويته على أي شيء آخر؛ وما يتفرع من ذلك من قضايا وقيم ورؤى تتناول حقوق الإنسان، كفرد في مقابل الجماعة، وكفرد في جماعة، ومجمل الإجرائيات الآلية التي يحاول الإنسان تحقيق ذلك من خلالها، هي إحدى مرتكزات الخطاب التنويري، بوصفه خطابًا من الإنسان وإلى الإنسان.

العقل كمرجعية، يتم من خلالها تحرير الإنسان، وفكّ أسره من محاولات فرض الوصاية عليه، بوصفه قاصرًا؛ إزاء الوجود من جهة، وإزاء الإنسان «الآخر» من جهة أخرى، من مقدمات الفعل التنويري التي لا يمكن التنازل عنها، مهما كانت المبررات، ومهما كان الثمن...

ومن قيمة العقل والإنسان، تتحتم قيمة العلم وموضوعيته، وقيمة التحرر من أسْر المرجعيات المسبقة؛ يتحرر الإنسان من المرجعيات

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين ص(٣٩).

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ص(٤١).

(٣) اليوم والغد، ص(٢٠١)، نقلا عن الإسلام بين التنوير والتزوير، ص(١٣٨).

التاريخية التي تحاول أن تصوغ له روحه وواقعه، وتطرح نفسها بديلاً - في الواقع - عنه. وبهذا تتحول الشخصيات التاريخية التي انطبعت بطابع القداسة المدعاة، إلى شخصيات بشرية، والمرجعيات النصوصية إلى مفعول بها؛ لا فاعلة، وموضوعًا للعلم وإجرائياته، وليست علمًا بذاتها.

إن هذه القيم المجملة والمتعانقة، هي ما يشكل خطاب التنوير في عمومه، وفي هذه الحال؛ لا بد أن يتراجع خطاب الخرافة في تمظهراته كافة. يحضر العلم الحقيقي في مقابل الجهل أو في مقابل «علم الخرافة»، ويحضر الإنسان «دون تمييز لإنسان عن آخر؛ تحت أي مبرر»، مقابل إلغاء الإنسان، ويحضر العقل في مقابل الاجترار التقليدي الذي يصنع من عالم الإنسان عالمـًا لا يختلف كثيرا عن عالم الحيوان، فاقد العقل، فاقد الإرادة، فاقد المصير!»[1].

ويقول ممتدحًا التغريب:«ومن التهم الكبيرة التي دائمًا ما يتم توجيهها إلى خطاب التنوير، أنه خطاب تغريب. وهذه تهمة يصدق عليها أنها من المحاسن التي يُدِلّ بها خطاب التنوير؛ فيما تعد من ذنوبه التي يجب عليه الاعتذار عنها. ولا عيب في ذلك، ولا ذنب، إلا عند من يرى الغرب ظلامًا يريد أن يلتهم تنويرنا!، كما في التفكير الكاريكاتيري لمحمد الغزالي في كتابه «ظلام من الغرب»!. التغريب ليس تهمة، بل هو - وإن أنكر البعض وغضب آخرون - رؤية تقدمية في مجملها؛ لأن الحضارة الحقيقية التي تجسدت في

(١) تكفير التنوير، محمد الحمود، ص(٢٣٢)، وفد نشر قبل ذلك في جريدة الرياض العدد (١٤٠١٠)،١١/ ١٠/ ١٤٢٧، مقالة: التنوير متهما، ج٢.

الواقع، وقدمت الأنموذج الحي والحيوي، هي حضارة الغرب، وليست أية حضارة أخرى، مهما ادعت ذلك، ومهما رفعت من شعارات؛ لأنها في النهاية مجرد دعوى، ومحض شعارات.

... الغرب هو الحضارة، وتنويره هو التنوير. ومن يجهل أو يتجاهل أو ينكر هذه الحقيقة الصلبة، فإنما يضر بنفسه قبل أن يضر بالغرب»[(١)].

يتضح من هذه النقول أن التنوير العربي العلماني نسخة مطابقة للتنوير الأوروبي، بكل ما فيه من نقد للدين، ورفع لسلطته، ومطالبة بعقلانية مطلقة. يقول محمد قطب:«تبلور الوضع الآن مع التنويريين المعاصرين فصار خطًّا واضحًا مناوئًا للدين، أو في القليل راغبًا في تحجيمه إن عجزوا عن إزالته، بحيث يصبح كالدين الكنسي في الغرب: علاقة بين العبد والرب، محلها القلب ولا صلة لها بواقع الحياة!»[(٢)].

ويقول د.سعد البازعي ناقدًا التنوير العلماني العربي:«لقد اتجه كثير من المفكرين العرب إلى التنوير الأوروبي وفي ذهنهم حاجات محلية ملحة هي نقل مبادئ ذلك التنوير إلى بيئتهم العربية، وبأي ثمن في كثير من الأحيان. تلك الحاجات الملحة أدت إلى نتيجتين غالبًا: الأولى: قراءة الإرث التنويري الأوروبي قراءة متعجلة ومبسترة ومن ثم خاطئة، والثانية: تهميش الوجوه غير المناسبة من ذلك الإرث عندما تلوح أو تتبين، وذلك خدمة

(١) تكفير التنوير ص(٢٣٣)،جريدة الرياض العدد(١٤٠١٠)،١١/ ١٠/ ١٤٢٧هـ، مقالة:التنوير متهما، ج٢.

(٢) قضية التنوير في العالم الإسلامي، محمد قطب ص(٣٤).

لمصلحة الاستنارة العربية المحلية على المدى البعيد كما يراها الناشط التنويري. ولعل من الطبيعي في سياق كهذا أن يتوارى النقد لذلك الإرث، فلا نجد بين أتباع التنوير من العرب نقداً يذكر لأعلام التنوير الأوروبي، في حين أن أولئك الأعلام اختلفوا فيما بينهم ولم يتردد بعضهم عن نقد البعض الآخر»(١).

ويبين د.البازعي أن الغرب عندما أخذوا من حضارتنا الإسلامية، وقفوا بحذر شديد عند الأمور المتعلقة بالدين والهوية، فيقول:«أخذت دون حرج من العلوم التطبيقية البعيدة عادة عن روح الثقافة، وتحرجت فيما يتصل بالفلسفة، ووقفت وقفة حذر ورفض حين اقتربت من العلوم النابعة من خصائص الثقافة وجذورها العميقة»(٢).

وقد فشلت محاولات التنوير في كسب الجماهير في البلاد الإسلامية لعدم وجود ما يبررها، فلم يكن ثمة معارضة للعلم والتقدم العلمي لنحتاج إلى ثورة تنويرية تضيء عالمنا. لذا كتب محمد الحمود متألماً في مقالة «التنوير متهما»: «مضى ما يناهز القرنين من الزمان على بداية الحركة التنويرية في العالم العربي؛ منذ بدأ رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي رحلة التنوير الذي كان يخضع - تبعًا لظروف المرحلة، ومكونات الفاعل

---

(١) جريدة الرياض العدد(١٤٨٢١)، ٢٤/ ١/ ١٤٣٠، مقالة: التنوير العربي: نوافذ إلى ماذا؟(٣).

(٢) جريدة الرياض العدد(١٤٨٥٦)، ٣٠/ ٢/ ١٤٣٠هـ، مقالة: التنوير العربي: العلاقات الحضارية فؤاد زكريا.

التنويري – للمنحى الإصلاحي، بدل المنحى العقلاني الخالص. ورغم كل هذه السنوات، ورغم تعدد وتنوع التيارات التنويرية، إلا أن هناك حقيقة مؤلمة، لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، وهي أن التنوير لم يحظ بالاستجابة الجماهيرية التي ترجح كفته على تيارات التقليدي؛ رغم رواجه النسبي في بعض الفترات الاستثنائية.. لكن، أن يكون هذا الانحياز الجماهيري هو الغالب على روح الأمة في بعديها: العربي والإسلامي، فهذا يدل على أن هناك تصورات راسخة ضد التنوير وأعلامه، جعلت منه خصمًا للجماهير في كثير من الأحيان، أو موضع إهمالها في بعض الأحيان.»[(١)].

ويقول:«ولئن كان هذا هو حال التنوير في العالم الإسلامي عمومًا، فإنه في واقعنا المحلي يعاني من حصار أشد، ومن تهم أقسى؛ لأن الخطاب التقليدي أعنف من جهة؛ ولأن درجة تحكّم هذا الخطاب في الجماهير تكاد تكون الأولى من نوعها في العالم من جهة أخرى» [(٢)]. بل لأن التنوير العلماني مصادم للدين، ولا يمكن أن يجتمع النقيضان.

النوع الثاني: التنوير الإسلامي.

اختلف الباحثون حول تسمية هذا الاتجاه الفكري، فقد أطلق عليه مصطلحات عدة، منها: الاتجاه العصراني أو الاتجاه العقلاني أو التنوير الإسلامي، ويطلق عليه مؤخراً مصطلح «الإسلاميون الجدد»[(٣)].كما قد

---

(١) جريدة الرياض العدد (١٤٠٠٣)، ٤/ ١٠/ ١٤٢٧هـ، مقالة:التنوير متهما، ج١.

(٢) جريدة الرياض العدد(١٤٠٠٣)،٤/ ١٠/ ١٤٢٧هـ، مقالة:التنوير متهما، ج١.

(٣) انظر: عصر الإسلاميين الجدد، وليد الهويريني، ص(١٢٨)، التيارات الدينية في =

يطلق عليه اتجاه التجديد[١].

يتميز هذا الاتجاه عن الاتجاه العلماني باعتماده المرجعية الإسلامية، يقول محمد عمارة: «فوجود تنوير غربي، له السمات الخاصة التي أشرنا إلى أهمها لا يمنع من الحديث عن تنوير عربي إسلامي تتحدد مضامينه ومفاهيمه وفقا للمرجعية الحضارية الإسلامية المتميزة عن المرجعية الغربية»[٢]. وهو في حقيقته يختلف عن التنوير الأوروبي. أما الدلالة الاصطلاحية فيرون أنها أخذت اللفظ وبعض المعنى. يقول الدكتور الأحمري :«فتعريف التنوير هنا يختلف عنه في غير بلداننا، وكذا كثير من المفاهيم الأخرى، مثل الليبرالية والقومية والعلمانية وغيرها، فهي تنقل لنا غالبا بطريقة جزئية، أي ينتزع الاسم من فكرة أجنبية باقتطاع جانب منها، ثم يواءم مع فكرة أو حركة أو مواقف عندنا، ويولد هذا منتجًا جديدًا»[٣].

ويمثل هذا التيار على سبيل المثال: جمال الدين الأفغاني (١٨٩٧م)، ومحمد عبده (١٩٠٥م)، ومحمد رشيد رضا (١٩٣٥م)، ومحمد الغزالي (١٩٩٨م)، ومحمد عمارة، وفهمي هويدي، ومحمد سليم العوا، وحسن

=

السعودية،خالد المشوح ص(١٢٣)، الاتجاهات العقلانية الحديثة، د.ناصر العقل ص(٢٠)، العصرانيون، محمد الناصر(١٧٤-١٧٨)، حوار مع نواف القديمي عام ٢٠٠٤في موقع *ikhwanonline.com*.

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير،محمد عمارة ص(٣٤).

(٢) الإسلام بين التنوير والتزوير، ص(٢٦).

(٣) جريدة الوطن أون لاين، صفحة الثقافة، ٢٠١٠ *alwatan.com.sa*.

الترابي، وراشد الغنوشي[١].

يقول نواف القديمي -وهو ينسب نفسه لهذا التيار-: «أفكارنا تقترب من رؤى بعض الباحثين الإسلاميين في مصر، مثل الدكتور محمد سليم العوَّا، والمستشار طارق البِشري، والدكتور محمد عمارة، والأستاذ فهمي هويدي»[٢].

ويعرف أصحاب هذا التيار منهجهم بأنهم مجموعة تلتزم بنصوص الوحيين، وبمرجعية الشريعة، ولا تختلف على الإطلاق في اختياراتها العقائدية مع التيار السائد، إلا أنها تختلف عنه في بعض رؤاها الفقهية والفكرية والسياسية، وفي تعامله مع المنظومات الثقافية والسياسية الأخرى[٣].

ويقصد الأحمري بالتنوير: «تقييم ما استقر عند العامة والخاصة من مفاهيم عن الدين، في التمييز بين ما ورثوه منه، وما هو حق وأصيل فيه»[٤]. وفي اعتمادهم العقل وتقديمه، يقول عمارة: «ولقد اتفق أهل الملة الإسلامية -إلا قليلاً ممن لا يُنظر إليه- على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل»[٥]. والنقل يفوض أو يؤول!

---

(١) انظر لأسماء أخرى: حوار مع نواف القديمى حول قضايا التنوير والإصلاح والصحوة عام ٢٠٠٩، موقع *alasr.ws*، التيارات الدينية في السعودية، خالد المشوح ص(١٢٥).

(٢) حوار مع نواف القديمي: ننطلق من رؤية إسلامية للإصلاح، عام ٢٠٠٤، *ikhwanonline.com*.

(٣) انظر: حوار مع نواف القديمى حول قضايا التنوير والإصلاح والصحوة، موقع *alasr.ws*.

(٤) جريدة الوطن أون لاين، صفحة الثقافة، ٢٠١٠ *alwatan.com.sa*.

(٥) الإسلام بين التنوير والتزوير، ص(٣١).

ويصرح نواف القديمي بأن هذا التيار «يقوم على نقد التيار السلفي، وتفكيك بنيته التقليدية، ومنظومته في التفكير والتعامل، لتجاوز التأزمات التي أنتجها في المجتمع، والتي أسهمت في إعاقة مشروعات النهضة والتطور الحضاري»[1]. وهذه الرؤية ما زالت حاضرة عند هذا التيار، لكن سايرتها رؤى أخرى ترى أن تطور المجتمع وانفتاحه وتطور منظومته الثقافية والدينية لن يتم بمعزل عن الإصلاح في النظام السياسي، لذا فإن هامش الاهتمام بالإصلاح الدينى تضاءل بعض الشيء لصالح الاهتمام بالإصلاح السياسى[2].

أجندة هذا التيار-كما يذكر القديمى- تقوم على الإصلاح الدينى، وتكوين رؤية إسلامية حضارية تستطيع التعايش مع العالم المفتوح وقادرة على إدارة المجتمع وتنميته، وتسهم في تكوين مجتمع مدني تعددي يؤمن بالحريات والديمقراطية والتنوع السياسى والفكري والمذهبى، ويكرس أولويات النهضة، وإقامة مجتمع حضاري متقدم لا يعيش بالضرورة حالة خصومة مع الغرب الاجتماعى والثقافي، وإن كان يختلف عنه بشكل جذري أحيانًا؛ في موقفه من بعض القضايا لكونه- أي التيار- ينبع في النهاية من رؤية إسلامية، قد تشترك مع المنظومة الغربية في كثير من جوانبها الإنسانية[3].

(١) حوار مع نواف القديمي: ننطلق من رؤية إسلامية للإصلاح، عام ٢٠٠٤، موقع *ikhwanonline.com.*

(٢) انظر: حوار مع نواف القديمي حول قضايا التنوير والإصلاح والصحوة، موقع *alasr.ws.*

(٣) انظر: حوار مع نواف القديمي: ننطلق من رؤية إسلامية للإصلاح، *ikhwanonline.com.*

لذا نجد الأحمري يرى أن بعض المذاهب اللادينية قد حملت في بعض جوانبها الخير للناس! يقول: «لا أشك أن جوانب من العلمانية والتنوير والشيوعية قد حملت خيرًا للبشرية في أكثر من بقعة من بقاع العالم»[١].

والمتابع لنتاجهم الفكري يجد أن هذا التيار يتحدد بقيام أفراده بعملية توفيق بين الإسلام «نصًا وتراثًا» وبين مفاهيم التنوير، فقبلوا منها ما رأوه حقًا، وردوا منها ما رأوه باطلاً، وفي عملية التوفيق هذه أضاعوا قطعيات من الشريعة، وخالفوها إما بقبول باطل وإما برد حق، فكانت مخالفة القطعي بقبول ما هو باطل من المفاهيم الغربية، ورد ما هو ثابت قطعي من الدين[٢].

لذا يمكن تعريفه بأنه «الاتجاه الذي يظهر أصحابه التسليم للمرجعية الإسلامية، لكنهم يمارسون تطويع (بعض)[٣]أحكام الشريعة والنصوص ذات الدلالة القطعية بما يتوافق مع الثقافة الغربية... وأورثت عملية التطويع هذه حاجة إلى التخفف من قيود المنهج الشرعي، فطالت التحريفات قضايا منهجية أيضًا، وكانت المبررات لهذه التنصلات محشودة تحت لوافت من قبيل الاستنارة ومواكبة العصر والنهوض والتجديد»[٤].

يتجلى هذا التطويع بصورة أكبر في القضايا السياسية والاجتماعية؛ كنظم الحكم وغايته، وشرائع الحدود والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي

(١) جريدة الوطن أون لاين، صفحة الثقافة، ٢٠١٠ *alwatan.com.sa.*

(٢) انظر: مقال: خارطة التنوير، أحمد سالم.

(٣) زيادة من الباحثة، لأنهم يفعلون ذلك لبعض الأحكام والنصوص وليس كلها.

(٤) التنوير الإسلامي في المشهد السعودي، عبد الوهاب آل غظيف ص(١٣). وانظر: التيارات الدينية في السعودية،خالد المشوح ص(١٢٥-١٢٨)، الموسوعة الميسرة(٢/ ١٠٤٧).

عن المنكر، وقضايا المرأة، والعلاقة مع الكافر والمبتدع، والولاء والبراء ونحوها[١].

ويلاحظ اتفاقهم إجمالاً مع التيار العلماني في كثير من المسائل؛ كنقد التيار السلفي، وإعادة قراءة النص بما يواكب العصر، والإصرار على أن الديمقراطية هي الحل، والأولوية المطلقة للإنسان والتي تمثلت في تقديمهم سيادة الأمة على تطبيق الشريعة، ورفع شعار الحرية.

وقد كان لكتابات محمد الجابري وكتابات الإسلاميين الحديثة عن الديمقراطية والتنمية أثرٌ على هذا التيار، إلا أن كتابات أركون، ونصر حامد أبو زيد، وعلي حرب، في تفكيك النص ونقده ورفع القداسة عنه، واستنساخ بعض النظريات الفلسفية الغربية، كان له الأثر السيء في اندفاع بعض أتباع هذا التيار إلى ساحات العلمانية[٢]. لذا كانت خطورة هذا التيار في أن منهجه التلفيقيّ أودى ببعض أتباعه إلى العلمانية، بل التبعية التامة للفكر الغربى. وهذا من مخاطر العقلانية والمجازفة بتأويل النصوص وتطويعها للرأي.

وبلا شك فالمنتسبون لهذا التيار هم درجاتٌ في قربهم وبعدهم عن الحق، بحجم التنازلات التى يقدمونها رضوخًا لمواكبة العصر وهاجس النهضة.

والأحمري في كلام له عام٢٠٠٦م يرفض استخدام المصطلحات التي

---

(١) انظر بعض الطروحات التنويريه في كتاب سيادة الأمة قبل تطبيق الشريعة لعبد الله المالكى، وكتاب أشواق الحرية لنواف القديمى. وانظر التنوير الإسلامى في المشهد السعودي، عبد الوهاب آل غظيف ص(١٣، ٩٢-١١٤).

(٢) انظر: التيارات الدينية في السعودية،خالد المشوح ص(١٢٥).

تحمل مضامين عقدية باطلة، حيث يقول: «وغالب التنوير والعلمانية اللذين شاع ذكرهما أو ممارسة بعض ظواهرهما في العالم العربى استنسخا من الطبعة الفرنسية المتطرفة ضد الدين. ولهذا فإن من غير المناسب استخدام وصف متنوّر وكلمة «تنويري» لوصف مسلمين بها، لأنها مدرسة قائمة بذاتها، لها ملامحها. ومن ذلك الموقف من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نكرانًا لوجوده، أو سلبًا للالتزام بأمره. وللمدرسة موقف من الكنيسة، لا يمكن نقله كما هو إلى المؤسسات الدينية في المجتمع الإسلامى،... وللمدرسة رؤية لقضية العقل لا تتفق مع الإسلام»[1].

ويقول: «والتساهل في اتباع اسم المدرسة سوف ينتج -بلا ريب عندي، أتباعًا لسمتها-، وبالتالى أتباعًا مقلّدين، يفقدون الفكرة، ومن ثم ربما سيطرت على بعضهم أخلاق أهل الزندقة. ويصبح التنوير تبريراً لعدم التزامهم بشىء من الإسلام، ولا بالتنوير بمعناه الغربى، فهم أتباع للتسلط وآلاته، -ضد التنوير السياسى-، وهم مرّوجون للغزاة ولمطالبهم في تدمير المجتمع -أي ضد العقل والمصالح الاجتماعية-، فعلى الصادقين المخلصين صناعة فكرتهم بأنفسهم اسمًا ومضمونًا، وبهذا يتحقق لهم بعض ما يودون، وينسجمون في فكرة أو عمل لا يصادم قناعاتهم، ولا يلحقهم بأعداء مجتمعهم»[2].

---

(١) التنوير والتبرير،الحاجة أم التبعية، مقال للأحمري ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٦، *ar.islamway.net*.

(٢) التنوير والتبرير،الحاجة أم التبعية، مقال للأحمري ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٦، *ar.islamway.net*.

وهذا الكلام حق، فالمصطلح له دلالته المحددة التى اشتهر بها، والتى مضمونها أنَّ الأديان ظلمة وجهل، وأن العقل والعلم فقط مصدر النور، وأسلمة مصطلح ذي دلالة لادينية، فيه تناقض ظاهر.

المبحث الرابع
نقد التنوير

إن نقد التنوير لم يأت متأخرًا بل تمَّ نقده من قبل رجال الدين في ذلك الوقت، بل بعض فلاسفة التنوير الأوائل نَقَدَ جوانب من التنوير، كما فعل روسو في هجومه على العقلانية الجامدة، والمادية، وتهميشها للشعور والوجدان. كذلك من النقاد هيردر *Herder* (١٧٤٤-١٨٠٣) رغم أنه من فلاسفة التنوير [١].

ودعا كاسيرر إلى فحص نقدي للتنوير، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه «فلسفة التنوير» [٢].

واشتهرت مدرسة فرانكفورت [٣] بنقد التنوير، ونقد العقلانية التي وقعت

---

(١)هناك كتاب كامل بعنوان نقد التنوير عند هيردر، تأليف د.محمد مجدي الجزيري، انظر ص(٤١) منه على سبيل المثال.

(٢)انظر: ما بعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة،ص(٩٦).

(٣)مدرسة فرانكفورت هي حركة فلسفية نشأت بمدينة فرانكفورت سنة١٩٢٣. بدأت الحركة في معهد الأبحاث الاجتماعية بالمدينة. تميزت بدايتها بعلاقتها بالماركسية، ثم غيرت توجهها بدءًا من عام ١٩٣١، حيث ركز هوركهايمر على الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وقد جمعت فلاسفة مثل ماكس هوركهايمر، وثيودور أدورنو، وهيربرت ماركوز، ويورغن هابرماس، وهو الممثّل الأكثر شهرة للجيل الثاني للمدرسة. وقد هاجرت الحركة إلى جنيف سنة ١٩٣٣ مع وصول هتلر للحكم في ألمانيا، ثمّ إلى الولايات المتّحدة أثناء الحرب، وفي هذه المرحلة نقدت الماركسية، ثم طرحت موضوع العقل وعودته إلى الأسطورة، قبل أن تعود مجددًا إلى ألمانيا في بداية الخمسينيات لتكمل أبحاثها الفلسفية. انظر: ما بعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة،ص(٢٠٩-٢١٧).

في الأسطورة، مؤكدة أن العقل التنويري قد هدم نفسه حين ارتبط بالقوة، وجر أوروبا إلى الحروب.

ويقول سولجينتسين[(١)]: «إننا اليوم عندما نتمسك بالعبارات المتكلّسة التي تعود إلى عصر الأنوار إنما نكشف عن رجعيتنا»[(٢)].

إلا أن المدافعين عن التنوير عللوا نقد التنوير بأنه نوع من المراجعة والتصحيح، يقول هاشم صالح: «ولا ينبغي أن نستخدم مدرسة فرانكفورت التي بالغت في نقده والتهجم عليه كذريعة للقول بأننا لسنا بحاجة إلى تنوير! ولا ينبغي القول: إذا كان الأوروبيون أنفسهم ينتقدونه فلماذا نهتم به نحن؟ ينبغي أن نعلم أنهم ينتقدونه لكي يصححوا نواقضه لا لكي يتخلوا عنه!» [(٣)].

والحق أن بعضهم نقده ليصححه، والبعض الآخر نقده محذرًا منه، ومتجاوزًا له إلى الأفضل من منظوره.

يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري بعد ذكره لتناقضات فكر الاستنارة: «هذه بعض الإشكاليات التي طرحتها حركة الاستنارة، والتي لا يزال بعض المفكرين الغربيين يتأملون فيها ولا يجدون لها إجابة شافية، على العكس من دعاة الاستنارة عندنا الذين يبشرون بأفكار الاستنارة بشجاعة بالغة ساذجة.. تدل أيضًا على أنهم لم يتأملوا الأمر بما فيه الكفاية من كافة جوانبه»[(٤)].

---

(١) أديب ومعارض روسي توفي ٢٠٠٨.

(٢) نقلاً عن روح الأنوار ص(٣٦).

(٣) مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(٢٥٤).

(٤) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٦١).

فالفرق واضح؛ فدعاة الاستنارة في أوروبا تبادلوا النقد فيما بينهم، كما لم يعلموا بكل المشاكل اللاحقة التي ترتبت على تنويرهم، لذا قام الفلاسفة المتأخرون بالنقد والتعديل لفكر التنوير، بينما نجد دعاة التنوير في بلادنا ينادون بالنسخة الفرنسية القديمة لما يُسمى بالفكر المستنير دون أدنى تنقيح!

وبالنظر للتراث التنويري الأوروبي نجد بالإضافة إلى موقفهم المعادي للدين، يقعون في تناقضات كثيرة بين تنظيرهم الفلسفي والواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن الوجوه التي ينتقد بها:

١-نقد موقفهم من الدين:

أنتج عزلهم للدين عن الحياة، ونزع سلطته مجتمعًا علمانيًّا، يقيد الدين في أضيق نطاق، ويجعل الدين مسألة شخصية لا تُعبِّر عن هوية المجتمع، ولا تخضع لحساب أو مساءلة، ولا تقيد بدين معين، بل الفرد حرٌّ في اختيار عقيدته.

وقد انقسم فلاسفة التنوير في موقفهم من الدين إلى أقسام:

١-الربوبيون، أو أصحاب الدين الطبيعي: وموقفهم هو رفض الدين ونقد شعائره وطقوسه، وهو رفض مبني على أصل نظرتهم للدين، فهم لا يصدقون بالنبوة، ولا المعجزات، وينظرون للدين على أنه أمر به يصلح شأن المجتمع أيًّا كان هذا الدين، والذي لا بد أن يناسب طبيعة أهل البلد.

باستثناء تعصب بعضهم ضد الإسلام، أمثال مونتسكيو[1]،ومؤدى قول

---

(١) انظر نماذج لتحامله على الإسلام في كتابه روح الشرائع(١/ ٩٤)، (١/ ٩٧، ١١٤)،(٢/ ١٧٨)، (٢/ ١٨٩)، (٢/ ٢٠٤-٢٠٥)، (٢/ ٢٢٢).

هؤلاء تقرير وحدة الأديان، مع قولهم بوضعيتها، ونفي المصدر الإلهي فيها. وهذا المذهب في حقيقته مذهب إلحادي،، ويمثل هؤلاء فولتير، روسو، ديدرو، مع تغير مذهبه.

٢-المتأخرون من فلاسفة التنوير قالوا بوحدة الوجود، أمثال هيجل.

٣-عقلنة الدين المسيحي، ومحاولة تطويعه للمنطق، مع عدم التقيد بالتعاليم التقليدية للدين، أمثال كانط.

٤-بينما جنح بعضهم إلى الإلحاد الصريح، والمادية، وتمثلت في الماديين الفرنسيين مثل لامتري، هولباخ. وفي نفاة السببية من يحصر المعرفة على الخبرة الحسيَّة، أمثال هيوم.

وهناك من يرى أن التنوير الغربي سبب ظهور الوثنية الحديثة كما في كتاب «ظهور الوثنية الحديثة وعلم الحرية»، للمؤرخ الأمريكي بيتر غاي[(١)].

وقد حصل الاضطراب حول بديل الدين: إذ لم تحقق العقلانية السعادة الروحية والرضا، لذا استمر عامة الناس على دينهم رغم تحريفه، فهو أخف وطأة من الخواء الروحي الذي كان نتيجة حتمية لفلسفة التنوير.

ويقول هوركهايمر وأدرونو إن نفي الله ينطوي على تناقض لا مناص منه: إنه ينفي المعرفة بالذات[(٢)].كما يرى هيجل أن التنوير أزاح الدين ولم يأت ببديل[(٣)].

---

(١)نقلا عن التنوير، لأوترام ص(٦٠).

(٢)جدل التنوير، ص(١٣٥).

(٣) انظر: التنوير،أوترام ص(١٢٨-١٢٩).

لقد كان التنوير نوعًا من ردة الفعل على سيطرة رجال الدين على مناحي الحياة العلمية والاقتصادية، حيث حاربت الكنيسة العلم والاختراعات والنظريات العلمية التي لا تصادم الدين، وسيطرت على موارد الاقتصاد كالأراضي ونحوها، ودعمت الإقطاع والاستبداد السياسي، لذا كان الدين متمثلاً برجاله بدءًا بالبابا العدوّ الأول لفلاسفة التنوير.

إلا أنه رغم ذلك كان لا بد من الاقتصار على نقد الخطأ والممارسات الخاطئة، وليس إدانة الدين بكامله، بل تجاوزوا ذلك بالحكم على كل الأديان بأنها وضعية من اختراع الأنبياء. وهذا حكم باطل، لا يستند إلى دليل.

وبعد إسقاط الدين كمصدر للمعرفة الدينية والأخلاقية، تخبط الفلاسفة في إيجاد البديل، فكان العقل، ثم أُسقط العقل بضرورة التجربة، ثم هناك من أسقط العقل والتجربة ونادى بالفطرة. أمَّا في العالم الإسلامي فلم تكن المبررات للتنوير موجودة في الإسلام، حيث سلم من التحريف، فكان دينًا يشبع العقل والوجدان، وقد كان العلم مدعومًا في البلاد الإسلامية، والنهضة العلمية مزدهرة[1]، ولا وجود للنظام الإقطاعي وللنظام الكهنوتي المستبد الذي يستأثر حتى بمغفرة الذنوب! فهو دين هدى ونور، بل قد اعترف بعض فلاسفة

(١) يقول هانز كونغ: «في العصور الوسطى المسيحية كان هناك إعجاب كبير بالحضارة العربية الراقية والفلسفة والعلوم الطبيعية والطبية، بالإضافة إلى القوة الاقتصادية والعسكرية للإسلام، حتى إن وجود عالم مسيحي مثل توماس الأكويني ما كان ممكنا دون العرب» ص(٢٨)، حوار المسيحية والإسلام، هانز كونغ، جوزيف فان، دراسة وترجمة د. السيد محمد الشاهد..

التنوير بما في الإسلام ونبيه من العدل[١].

لذا فدعاوى التنوير العلماني في العالم الإسلامي غير مبررة، بل هي نوع من التلبيس لرفض الدين.

إبطال الإلحاد والمذهب الربوبي:

هل كانت نظريات نيوتن في الفيزياء المستند العلمي للراغبين في الخلاص من التفسير الديني للكون، وإبعاد الدين السماوي ليحل محله الدين الطبيعي، والتفسير الآلي للكون؟.

لقد تناقضت الرؤى في الغرب حول نظريات نيوتن هل دافعت عن الدين أم أنها أدت إلى الهرطقة والإلحاد. وقد أنكر نيوتن بنفسه أن قوانينه قد وصفت عالماً ذاتي التوليد، ذاتي التحكم، وبحسب قوله الحركة أكثر قابلية لأن تفقد من أن تكتسب، إنها باستمرار في سبيلها للتلاشي، إن الطاقة يمكن فقط أن يستردها النظام الكوني عن طريق التدخل الدوري والمباشر من قبل الخالق[٢]. لم يكن في نظرياته أي مستند للإلحاد، أو التفسير الآلي للكون غير المحتاج إلى خالق.

إن القول بأن الكون وجد من خلال القوانين الفيزيائية هو سفسطة ومغالطة للحقائق، لأن القانون الفيزيائي لا يخلق شيئًا، إنما يصف العلاقة والظاهرة بين الأشياء. يقول جون لينكس *John Linux*: «فهو يعزو عملية

(١) انظر على سبيل المثال: العقد الاجتماعي، روسو، ترجمة عبدالعزيز لبيب ص(١٢٩،٢٤١).

(٢) the Newtonian Revolution, Cohen، نقلا عن التنوير،أوترام ص(١٨٣).

الخلق للقوانين الفيزيائية، وهذا خطأ بدائي؛ فالقانون لا يستطيع أن يخلق من لا شيء، القانون مجرد وصف لما يمكن أن يحدث في ظروف معينة، القانون يصف ويتنبأ لكن لا يخلق.. قانون نيوتن للجاذبية لا يخلق الجاذبية أو مادتها، إنما يفسر بعض جوانب الجاذبية.

بل إن قوانين الحركة لا يمكن أن تحرك كرة بلياردو. الله لا يتعارض مع تفسير الكون بالقوانين الفيزيائية لأنه هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى عالم يعمل وفق قوانين الفيزياء. المادة شيء بسيط لكن لا يمكن للقوانين أن تخلقها،.. وقوانين الطبيعة تصف العلاقة بين الأحداث، ولا تنتج تلك الأحداث، تماما كقوانين الرياضيات لا يمكن أن تعطيك مالاً حقيقيًّا وإن كانت تحسب لك مجموعه، فقوانين الطبيعة التي تغطي جميع مجالات الفضاء والزمن تكشف عن الكون كله، أما التيار المتواصل من الأحداث الراهنة عبر الزمن فهذا مصدره قوة أخرى»[1].

فيبقى السؤال مَنْ أحدث المخلوقات؟ ومن الذي يدبرها؟ يقول ابن تيمية: «لا ريب أنا نشهد الحوادث كحدوث السحاب والمطر والزرع والشجر والشمس وحدوث الإنسان وغيره من الحيوان وحدوث الليل والنهار وغير ذلك. ومعلوم بضرورة العقل أن المحدَث لا بد له من محدِث وأنه يمتنع تسلسل المحدثات بأن يكون للمحدِث محدِثٌ وللمحدث

(١) مقطع فيديو لجون لينكس، مسألة الجاذبية: الإله والكون وستيفن هوكينج. محاضرة في جامعة دندي،٢٢ / ١١/ ٢٠١٠

http://www.dundee.ac.uk/externalrelations/events/lectures/2010/religion.htm

محدث إلى غير غاية. وهذا يسمى تسلسل المؤثرات والعلل والفاعلية، وهو ممتنع باتفاق العقلاء»(١).

ومثله قول البروفيسور وليم لين كريج *William Lane Craig*:«من أجل تحقيق التفسير الأفضل لا يجب أن يكون هناك تفسير للتفسير، لا يجب أن تكون قادرًا على تفسير التفسير! هذه نقطة بديهية في فلسفة العلم. لو كان لدينا تفسير للتفسير هذا من شأنه أن يؤدي إلى تسلسل لا حصر له من تفسير تفسير تفسير التفسير، ولن يمكّننا هذا من تفسير أي شيء»(٢).

ولكون الإلحاد مناقضًا لصريح العقل، لم تقل به أمة من الأمم، يقول ابن تيمية: «من الطوائف من قال: إنه-أي العالم- قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع، وأما أن يقول: إنه محدث حدث بنفسه بلا صانع، فهذا لا يعرف عن طائفة معروفة، وإنما يُحكى عمن لا يعرف. ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد في عقله، صار به إلى السفسطة، والسفسطة تعرض لآحاد الناس، وفي بعض الأمور، ولكن أمة من الأمم كلهم سوفسطائية في كل شيء، هذا لا يتصور؛ فلهذا لا يعرف عن أمة من الأمم أنهم قالوا بحدوث العالم من غير محدِث»(٣).

ويقول الشهرستاني:«أما تعطيل العالم عن الصانع العليم، القادر الحكيم، فلست أراها مقالة، ولا عرفت عليها صاحب مقالة، إلا ما نقل عن

---

(١)مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٤- ٤٤٥).

(٢) مقطع فيديو/www.christiandoubt.com/william-lane-craig-debates .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ١٢٨).

شرذمة قليلة من الدهرية، أنهم قالوا: كان العالم في الأزل أجزاء مبثوثة، تتحرك على غير استقامة، فاصطكت اتفاقـًا، فحصل منها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار، وكرت الأدوار، وحدثت المركبات، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت والاتفاق، احترازاً عن التعطيل، فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت -بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها- على صانع حكيم، قادر عليم، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم-١٠]»[١].

والقائلون بالوحدة ومن يقاربهم من الربوبيين، مذهبهم يفضي إلى إنكار وجود الرب. وعلى قولهم إنه عين الكون يقال: كيف يكون الحادث والمحدث شيئًا واحدًا؟ هذه مناقضة لأبسط العلوم الضرورية البدهية.

ثم كيف يتعذب الخلق وهو كامن فيهم، كيف يموتون ويهرمون والإله بداخلهم؟ كيف يخلق العالم وهو جزء منه؟.

وهؤلاء كما يقول ابن تيمية اشتبه عليهم وجود الله بوجود كل موجود حتى ظنوا وجودها وجوده، ورأوا الجميع شيئًا واحدًا، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، وهؤلاء من أعظم الناس ضلالا[٢]. كما أن الله قد فطر الخلق على الاتجاه نحو السماء والعلو عند الدعاء وليس إلى قلوبهم وضمائرهم. وتصور مذهبهم كاف في الدلالة على فساده، ولا يحتاج

---

(١) نهاية الإقدام ص(١٢٣-١٢٤).

(٢) انظر: التدمرية ص(١٠٨).

مع حسن التصور إلى ردّ.

وهل هذا الخلق العظيم العاقل خلق لغير حكمة وغاية، ولما خلق الله الإنسان بإرادة حرة، فقد رتب عليها قانون الجزاء والحساب، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود: ٧]. وهذا ما يجعل المرء يعمل في حياته لهدف وغاية، وعلى ضوئها ينضبط في سلوكه وأخلاقه، بل إن بعض الملحدين يؤمن بهذه الضرورة وينتقد بها المادية، كما قال وليم جيمس: «إن هذه الحاجة إلى نظام خلقي خالد هي من أعمق الحاجات المنبثقة من صميم فؤادنا...إن المذهب المادي يعني ببساطة إنكار أن النظام الأخلاقي خالد، ويعني بتر الآمال النهائية الأبعد، في حين أن الروحانية تعني توكيد نظام أخلاقي خالد سرمدي، وإطلاق الأمل وتسبيبه»[(١)].

أما المصدر الديني فيعطينا تصوّرًا واضحًا موافقًا للعقل والفطرة، يفسر نشأة الكون وبدء الخلق، وصفات الخالق العظيم، ويبين الحكمة من خلق الخلق بما يشفي الصدور ويقيم الحجة.

ثم إن تاريخ الأنبياء ومعجزاتهم حق لا يمكن إنكاره وإلا لبطل علم التاريخ بكامله، وما يتصل به. نعم حرفت الديانات قبل الإسلام وهذا ما نفَّر أتباعها عنها، ولم يتكفل الله بحفظها لوجود الدين الخاتم المصدق لما قبله من أديان الأنبياء والمهيمن عليها. لقد أقر الفلاسفة أن العقل يقتضي إثبات إله وهذا ما جاءت به الديانات، إلا أنهم أقروا بربوبيته على منحى منحرف ولم يعترفوا بألوهيته، فتناقضوا.

(١) انظر: البراجماتية، وليام جيمس ص(١٣٤-١٣٥).

٢-آثار الحرية:

-التسيب الأخلاقي:

أدَّت الحرية التي طالب بها المستنيرون، والتي على رأسها التحرر من الدين إلى تجاهل الغائيَّة، ورفض الحق المطلق، والقول بالنسبية، والنتيجة الطبيعية لذلك هو الانفلات الأخلاقي، لعدم وجود مرجعية أخلاقية، وثوابت قيمية يرجع لها الجميع، ولا غاية ينتظر فيها الجزاء والحساب. كما أنه يستحيل وجود نظام أخلاقي في منظومة تنكر وجود الله، حيث المرجع للطبيعة وقانونها في الأخلاق! لذا غدا النفع الذاتي والمصلحة الذاتية هي هدف الإنسان مهما كانت آثاره، واعتبر في معيار الأخلاق ما يحقق المنفعة.

ويعرف «جون ستيورات مل» المنفعةَ بقوله: «أنا أعتبر المنفعة هي النداء النهائي في كافة القضايا الأخلاقية؛ ولكن لا بد أن تكون المنفعة في المفهوم الأوسع مبنية على المصالح الدائمة للإنسان بوصفه كائنًا تقدميًّا» [(١)].

وقد عُرِّف الخير والشر تعريفًا ماديًّا كميًّا، فالخير هو ما يدخل السعادة «اللذة» على أكبر عدد ممكن من البشر، وما يحقق لهم المنفعة، والشر هو عكس ذلك [(٢)].

كما أدت الحرية الفكرية -وبالذات موقف الشك- إلى تغيير جذري في ميداني الأخلاق والدين، لأننا ما أن نثبت عدم قدرتنا على معرفة الارتباطات الضرورية، حتى تتهاوى قوة الأوامر الأخلاقية، ويصبح أساس الأخلاق

(١) عن الحرية، جون ستيورات مل ص(١٦).

(٢) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٥٢).

مماثلاً في ضعفه للسببية ذاتها عند المذهب الشكي[١].

كما أن المذهب الرومانسي بما فيه من حرية عاتية كان له دوره في كسر الأعراف والتقاليد[٢].

لقد حررت كثير من المجتمعات العلمانية الأخلاق من هيمنة علماء الدين، ولكنها في ذات الوقت أخضعتها لعلماء النفس والاجتماع والهندسة الاجتماعية والوراثية، وصناعة الإباحية واللذة. وأصبحت الأخلاق مسألة اجتماعية نسبية [٣]. كل هذا أثمر الفوضى التامة والتفكك في المجتمع[٤].

ويقول هانز كونغ: «الإسلام دين ودولة، وهو بذلك يمتاز عن المسيحية التي تنفصل فيها السياسة عن الدين، ويؤكد ذلك وجود مظاهر حضارية سيئة، نتجت عن خلو السياسة من الدين، مثل انتشار الدعارة والشذوذ الجنسي والتعري والحرية الجنسية»[٥].

ويرى البعض أن التسيب الأخلاقي-تلك السمة المميزة للمجتمعات الغربية-هو بمثابة الصورة الأخرى للشمولية التي يُتستر عنها بطريقة ماكرة عبر مظاهرها الديمقراطية[٦] الحرة، والتي يراد فرضها وتصديرها للعالم

---

(١) انظر: حكمة الغرب (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر: حكمة الغرب (٢/ ١١٠).

(٣) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٥٤).

(٤) جدل التنوير، ماكس هوركهايمر و ثيودور أدورنو ص(١٣٥).

(٥) حوار المسيحية والإسلام، هانز كونغ، جوزيف فان، دراسة وترجمة د. السيد محمد الشاهد ص(٤١).

(٦) انظر: روح الأنوار ص(٣٨).

أجمع عبر قنوات العولمة.

كما ترتب على الحرية المطلقة أن يتشوش الإنسان؛ حيث لا موجه له مطلقًا سوى عقله ونظره مهما كان قصوره، فلا ينقاد الإنسان لغير نفسه، حتى في ظل دساتيرهم التشريعية[١]، ومن خلال الديمقراطية التي نبذت التشريع الإلهي.

أما الحرية الدينية والتسامح في ذلك، فقد أقر بعضهم بأن من يتسامح في الدين هو غالبًا من الذين لا يكترثون لدينهم، ولا يشكل الدين أمرًا جوهريًّا بالنسبة لهم، يقول ستيورات مل: «ومع ذلك فإن من الطبيعي للبشر أن لا يتسامحوا فيما يهتمون لشأنه بشكل حقيقي، وأن يكون من النادر أن تتحقق الحرية الدينية بشكل عملي في أي مكان كان، عدا في الأماكن التي يكون فيها عدم الاكتراث الديني»[٢].

ويقول مونتسكيو: «لأن الدين الذي يستطيع التسامح مع الأديان الأخرى لا يفكر في الانتشار مطلقًا»[٣].

لكن التسامح بضوابطه الشرعية موجود في الإسلام، حيث ساس الحكم الإسلامي آلاف الرعايا من أهل الكتاب وغيرهم، ولم يجدوا محاكم التفتيش إلا في الحكم النصراني المحرف[٤].

---

(١) يلاحظ ذلك في طبيعة تحديثهم لقوانينهم الوضعية، والتي كان آخرها الرضوخ للشاذين، وتقنين زواجهم.

(٢) عن الحرية، جون ستيوارت مل، ص(١٣).

(٣)روح الشرائع، مونتسكيو(٢/ ٢١٥).

(٤) انظر لشيء من محاكم التفتيش، روح الشرائع، مونتسكيو (٢/ ٢١٨).

بل باعتراف الغرب فإن الجماعات الدينية كانت تنعم بالأمن في ظل الخلافة العثمانية، والذي تحول إلى كارثة بعد تفكك الخلافة[١].

يقول هربرت فيشر *Herbert Fisher* (١٨٦٥-١٩٤٠): «آثر الكثيرون من بروتستانت ترنسلفانيا والمجر العيش تحت لواء الهلال، على أن يقعوا في قبضة الجزويت[٢]... لم يكن هناك عاملٌ أكثر ترجيحًا للغة الأتراك من سجية التسامح الديني»[٣].

ويقول جوستاف لوبون *Gustave Le Bon* (١٨٤١-١٩٣١): «فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم»[٤].

٣-الحرية واستبداد المستنيرين:

في مقابل محاربة فلاسفة التنوير للاستبداد، ودعوتهم للحرية، إلا أنهم وقعوا في استبداد تنويري تمثَّل في محاربتهم لكل من خالفهم، أو وقف في وجه أصولهم التنويرية.

يقول الدكتور المسيري: «على عكس ما يتصور الكثيرون لم يتعاون

(١) انظر: ثقافة أوروبا وبربريتها، إدغار موران ص(١١،١٥،١٦).

(٢) الجزويت: جمعية كاثوليكية يسوعية متعصبة، أنشأت عام ١٥٣٤م، تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وأسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، أوقفت التوسع البروتستاني في كثير من بلدان أوروبا. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية، سعد رستم، ص(٨٢)، الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٣٢).

(٣) أصول التاريخ الأوروبي الحديث ص(٣٧٤).

(٤) حضارة العرب، جوستاف لوبون، نقلاً عن وكيبيديا.

مفكرو حركة الاستنارة مع الملكيات المطلقة ضد الكنيسة وحسب، بل تعاونوا أيضًا معها ضدّ كل من وقف ضد الفكر الاستناري، فإيمانهم بالطبيعة وبالدولة كان إيمانًا دينيًّا ماديًّا متعصبًا يتسم بالشمولية الكاسحة، وبالإيمان العلمي الراسخ، وبرفض المركزية الإنسانية»[١].

ماذا لو رفض الإنسان الحرية، أو ما يتصوره المستنيرون الحرية؟ وماذا لو وجد الفرد الحر المستقل أن صالح الدولة أو المجتمع ليس في صالحه أو لا يروق له؟ هنا لم يتوان المستنيرون عن تصفية الفرد لحساب الدولة.. يجب إرغام الناس على أن يكونوا أحرارًا، فهذا ما تمليه الطبيعة[٢] بزعمهم.

وبالفعل فقد قام بعض فلاسفة التنوير أمثال: ديدرو، ودالمبير، وهولباخ، وجريم، باستعداء المجتمع ضد روسو لأنه خالفهم في تقديسهم العقل، ولم يسمع نصحهم، وآثر العزلة والريف على الانخراط في علاقات مجتمع المدينة، والذي آذى روسو كل الإيذاء حسب ما ذكر في اعترافاته[٣].

يقول سعد البازعي ناقدًا بعض مشاكل التنوير: «التنوير ينطوي على الكثير من هذه الفرضيات، وأولها الاعتقاد بأنه هو وحده مصدر النور والاستنارة، وأن أي اتجاه مناوئ هو اتجاه ظلامي، كما هي العبارة الشائعة حاليًّا. والمشكلة هنا هي في أن هذه القناعة لا تفسح فضاءً كافيـًا للاختلاف أو النسبية، ولا تتيح قدراً من الهامش تتحرك عليه احتمالات الخطأ أو

(١) فكر حركة الاستنارة ص(٤٢-٤٣).

(٢) انظر: فكر الاستنارة ص(٤٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: الاعترافات ص(٣٥٢-٣٥٧).

النقص، وبالتالي احتمالات وجود قدر من الصحة لدى الطرف الآخر؛ فأن تقتنع بأن اتجاهك هو مصدر النور هو من حقك تمامًا، وقد تؤكده الشواهد والأدلة، لكن ليس من حقك نفي تلك المصدرية عن غيرك تمامًا.. الآن لو نظرنا في التنوير العربي، الذي جاء صدى للفرنسي بعد ما يزيد على القرن لوجدناه يعج بهذه المشكلات، في حين أن الفكر الأوروبي تجاوز مشكلاته تلك (وبالتأكيد فقد تطورت لديه مشكلات أخرى). في التنوير العربي نجد تبسيطًا مخلاً للمشكلات»[1]. وهكذا فإن الفلسفة المغترة بتفوقها تقود إلى التعصب-كما يقول روسو-[2].

٤-آثار العقلانية:

كانت العقلانية النقدية في عصر الأنوار متركزة أساسًا على الديانات التي اعتبرت ضربًا من الخرافة، ولم يميز هذا النقد بين دين وآخر بالنظر لما فيها من تحريفات، لذا جاء بنتائج مريعة من السقوط في براثن المادية والإلحاد. وقد كان مونتسكيو واعيًا تمام الوعي بأن المبادئ نفسها التي يناضل من أجلها يمكن أن تصبح مدمرة، وكان يحذر من الاستعمال المفرط للعقل، ومن مضار الحرية[3]. بل إن روسو كان أول من انتقد العقل في عصر التنوير، إلا أن ذلك لم يمنع تيار العقلانية من جموحه.

إن «المشكلة لا تكمن في استخدام العقل أو عدم استخدامه، وإنما في نوع

---

(١) جريدة الرياض العدد (١٤٨٤٢)، ١٦/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

(٢)انظر: دين الفطرة ص(١٣٣).

(٣) روح الأنوار ص(٣٠)، وانظر: روح الشرائع(١/ ١٦٦) ومابعدها.

العقل الذي يستخدم؛ عقل مادي أداتي، أم عقل قادر على تجاوز المادة، وفي الإطار الكلي الذي يتحرك فيه هذا العقل والمرجعية النهائية التي تصدر عنه»[١].

إن رؤية التنوير للعقلانية أدَّت إلى تحويل المعرفة إلى سلعة مثل باقي السلع، وتم الفصل بين المعلومة والمثل، فسوّقت المعلومة دون أن تؤثر في الفرد الذي يكتسبها، كما أن التنوير غير قادر على توفير مرجعية آمنة للأخلاق بالنسبة للأجيال المستقبلية[٢].

ومن آثار العقلانية الاضطراب الفكري، وذلك بسبب تناقض عقول الناس وتفاوتها وعدم اتفاقها، فبإمكان العقلنة أن تخدم الهوى، بل وتقود للهذيان، حيث يوجد هذيان خاص بالعقلانية المغلقة[٣]. بل إن فرط العقلانية أنتج موقفًا مضادًّا هو اللاعقلانية «التي ربما كانت الوجودية أشهر مظاهره»[٤].

وفق رؤية هوركيمر وأدورونو لب المشكلة يقع في اعتماد التنوير على العقلانية، فالبشر لا يتفقون حقيقة على تعريف ما هو عقلي، بما أن التنوير ينكر قدرة الأساليب الأخرى للوصول إلى حلول، مثل الدين أو التقاليد وغيرها، فإنه من الصعب أن تُحل هذه الصراعات دون اللجوء إلى القوة، وبهذا المعنى فإن الإرهاب السياسي يكمن في عمق التنوير[٥].

لذا منح السلطة للعقل -مع معرفة مزلات العقول- مخاطرة كبيرة.

---

(١) فكر حركة الاستنارة ص(٤).

(٢) انظر: حوار التنوير لهوركيمر وأدورونو ص(٥١-٦٢).

(٣) انظر: ثقافة أوروبا، إدغار موران، ص(٦).

(٤) انظر: حكمة الغرب (٢/ ١١١).

(٥) انظر: التنوير لأوترام ص(٧٢) بتصرف.

ثم إن العقلانية أورثت نسبية الحقائق، لتفاوت العقول، فكلٌّ بالنسبة إليه يرى هذا حقًّا وهذا باطلاً، وغيره يرى رأيًا مخالفًا، وكله منسوب للعقل، مع إلغاء المرجعية الدينية، أو العرفية.

٥-آثار الاستقلالية والتمركز على الذات:

إن المبالغة في الاستقلالية لدى بعض كتّاب القرن الثامن عشر وما بعده أمثال الفرنسي ساد *Sade* (١٧٤٠-١٨١٤)، والتي بالغوا فيها إلى أقصى حد بإلغاء قيمة الآخر، وبحيث تحطم الاستقلالية ذاتها بذاتها بما يعني أنها نفي لجميع الكائنات التي حولها، وأنها -تبعًا لذلك- نفيٌ للذات[(١)].

كما أنتجت انغلاق الأسر على نفسها بل انغلاق الفرد، وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الآخر لمساعدته ونجدته في أقسى الظروف. ما أدى إلى تفكك المجتمعات الغربية.

أضف إلى ذلك الصراع الذي يمكن أن ينشأ بين استقلالية الفرد واستقلالية الجماعة[(٢)].

ولا ننسى أثر النظريات الرأسمالية في الاقتصاد، والتي تنمي النزعة الفردية، يقول إدغار موران *Edgar Morin*: «الإنسان الاقتصادي الذي يجعل المصلحة الاقتصادية فوق كل اعتبار يميل إلى تبني سلوكات متمركزة حول الأنا، والتي تتجاهل الغير، وتنمي انطلاقًا من هذه الخاصية

---

(١) انظر: روح الأنوار ص(٥١-٥٢)، جدل التنوير ص(١٠٩-١٣١).

(٢) انظر: روح الأنوار ص(٥٢).

بربريتها الخاصة»[١].

٦-الإرهاب السياسي، والحروب:

مع انتقاد التنويريين للنظام المستبد، والمسيطر على الفكر والسياسة والاقتصاد، إلا أن بعضهم أيَّد المستبد المستنير، ما يعني أنَّ الاستنارة من منظور هؤلاء لا تتناقض مع الاستبداد السياسي؟ وما يؤكد أن تركيزهم على فصل الدين وإقصائه من الحياة والحكم هو الغاية.

وكان مونتسكيو أول من دعا للفصل بين السلطات الثلاث[٢] في القرن الثامن عشر، والذي تم اعتماده في المجتمع الغربي بعد الثورة الفرنسية.

وانطلاقًا من فكرة القانون الطبيعي والحقوق المتساوية للأفراد -حيث الطبيعة لا تعرف التفاوت-، تم رفض الحق الإلهي للملوك، وظهرت فكرة المساواة الكاملة بين الأفراد، وفكرة حقوق الإنسان والمواطن، وكل الأفكار الليبرالية الديمقراطية الحديثة.

وانطلاقًا من هذه الرؤية الطبيعية والتعاقدية، ومن الإيمان بالقانون الطبيعي، أكد المستنيرون على ضرورة فصل الدين عن الدولة والحياة العامة التي يحتكم فيها إلى عقله وحسب، والدولة هنا غير خاضعة لأي مطلق ديني أو أخلاقي أو إنساني خارج عنها، ومصلحتها وسيادتها هي الهدف الوحيد.

---

(١) انظر: ثقافة أوروبا ص(٦).

(٢) انظر: روح الشرائع (١/ ٢٢٨-٢٤٢).

وكان من نتيجة ذلك تزايد سلطة الدولة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسان[١].

وظهرت أنماط من الإرهاب السياسي، وحكم الناس بالحديد والنار، يمكن جعل الثورة الفرنسية بداية لذلك. إنَّ كتاب «الإرهاب: حرب أهلية في الثورة الفرنسية» للمؤرخ البريطاني دافيد أندرس، الصادر عام٢٠٠٥م يبين شيئًا من ذلك، حيث يؤكد هذا الكتاب على أن الإرهاب في الوعي الحديث استعمل للمرة الأولى لوصف الطرق الدامية والقسرية التي استعملتها الحكومة الجمهورية الفرنسية بين ١٧٩٣و ١٧٩٤ لفرض «عقيدتها» على بلد كان عنيدًا [٢].

كما تمثل هذا الإرهاب بالأنظمة الشمولية كالفاشية والنازية والستالينية.

يقول هوركهايمر وأدورنو: «إن التحالف بين التنوير والسيطرة قد قطع الرباط مع حصة الحقيقة التي تخص الدين والوعي، استفادت الفاشية من ذلك بشكل مزدوج»[٣].

---

(١) انظر: فكر حركة الاستنارة ص(٤٠)بتصرف.

(٢) لم أطّلع على الكتاب، انظر: مقال نظريتان بريطانيتان مثيرتان، ممدوح الشيخ، موقع *albayan.ae*. ومقال: الإرهاب بين الدين والتنوير، ممدوح الشيخ، موقع *alasr.ws*.
وفق مقال نظريتان بريطانيتان: النظرية الثانية وردت في فيلم تسجيلي عنوانه «دم وغيظ وتاريخ: أول إرهابيي العالم»، وهو يكشف بالوقائع والتفاصيل، كيف أن حركة «الفوضويون» التي ظهرت وانتشرت في القرن التاسع عشر، هي أول من مارس الإرهاب ونشره في العالم؛ فهي كانت على نفس القدر من العدمية، والفتك والقتل.

(٣) جدل التنوير ص(٢٠٦).

وينتقد هيردر الكلية والوثوقية التي ظهر بها التنوير، رافضًا الاستعمار الذي تقوم به الدول باسم قيم التنوير، وناهض العنصرية ودافع عن التعدد الثقافي[١].

ويقول تودوروف: «هناك لوم آخر ذو خطورة استثنائية يوجه إلى روح الأنوار؛ يتمثل في كونها قد انتجت-ولو عن غير قصد- الأنظمة الشمولية خلال القرن العشرين بما صحبها من مواكب إبادة جماعية، ومساجين وعذابات أنزلت على ملايين الأشخاص»[٢].

لقد وفرت فلسفة الأنوار المستندات الإيديولوجية للاستعمار الأوروبي خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين [٣]، كما أدى ذلك إلى نشوب الحروب العالمية.

فقد أعقب ثورة التنوير الفرنسية حروب وحشية هزت القارة الأوروبية، وأطماع استعمارية انتهازية، أفسحت عن وجه قبيح للإرث التنويري.

كما «استغرب الناس كيف يمكن لأمم حضارية كالأمم الأوروبية أن تتقاتل فيما بينها بمثل هذه الوحشية وتدمر بعضها بعضًا. عندئذ أخذ الناس يكفرون بفكرة التقدم والحداثة أو يشكون بها لأول مرة. فقد كان من المتوقع أن تنتهي الحروب والمذابح بانتشار التنوير الفكري.. لكن هذا ما لم يحدث»[٤].

---

(١) انظر: ما بعد الحداثة والتنوير،ص(٩٥).

(٢) روح الأنوار ص(٣٥).

(٣) انظر: روح الأنوار ص(٣١).

(٤) مدخل إلى التنوير الأوروبي ص(٢٤١).

كيف سادت في القرن العشرين قيم البربرية والتوحش في حضارة قامت على العقل، «كيف أن الإنسانية التي بَدَلَ أن تلتزم بشروط إنسانية حقة، سرعان ما راحت تغرق في شكل جديد من أشكال البربرية»[١].

إن اقتران العقل بالقوة والسيطرة أدى لهذه النتيجة، حيث ينظر عقلاً للمصلحة الذاتية على حساب الآخرين.

٧-انتهاك حقوق الإنسان:

إن المساواة التي طالب بها فلاسفة التنوير لم نجدها في أوروبا بل وجدنا العنصرية المقيتة. والحقيقة أن هذه المساواة أول من نقضها بعض الفلاسفة أنفسهم باندماجهم إلى المجتمعات الطبقية وعدم إنكارهم مظاهرها! بل إن الحرية التي كان الفلاسفة ينادون بها: أصبحت حربًا على الحريات الشخصية في روسيا والبلاد المستعمرة.

وترغب تلك الحكومات في الظهور مظهر المدافع عن حقوق الإنسان، لكن هذا لم يمنع -حتى أكثرها صراحة في المناداة بها- أن تضرب بها عرض الحائط على صعيد الممارسة إذا بدا لها أن الظروف تقتضي ذلك[٢]. لقد برز انتهاك حقوق الإنسان بشكل صارخ في البلدان المستعمرة، حيث تم التعامل مع تلك الشعوب بوحشية، واستعلاء، وترفع، بات معه أهل البلد وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية. حتى وصم بعض الكتاب ذلك بالبربرية الأوروبية[٣].

---

(١) جدل التنوير ص(١٣).

(٢) روح الأنوار ص(١١٣).

(٣) على سبيل المثال إدغار موران، وكتابه ثقافة أوروبا وبربريتها.

يقول فوكو: «كثير من الأشياء في تجربتنا تقنعنا بأن الحدث التاريخي للأنوار لم يجعل منا أسيادًا»[١].

لئن اضطر جان جاك روسو إلى تأليف العقد الاجتماعي، لما يراه من عبودية وذل الشعوب الأوروبية، لتسلط ملوكها وكهنتها، حتى قال في صدر كتابه: «ولد الإنسان حرًّا، وفي كل مكان هو الآن يرسف في الأغلال»[٢]؛ فإن الخليفة في الإسلام قال: «وليت عليكم ولست بخيركم.. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم..» [٣]، وقال عمر

---

(١) ماهي الأنوار، فوكو ص(١٧).

(٢) العقد الاجتماعي، روسو، ترجمة عبدالعزيز لبيب ص(٧٨). وفي الكتاب ذاته نجد امتداح روسو لسياسة محمد ﷺ، حيث يقول ص(١٢٩): «فأما الشريعة اليهودية وهي الباقية على الدوام، وكذلك شريعة سليل إسماعيل، وهي التي تسوس شطر المعمورة منذ عشرة قرون، فما فتئتا إلى وقتنا هذا تخبران بعظمة من سنهما من الرجال، وبينما لا ترى الفلسفة المتكبرة، أي العصبية العمياء، في هؤلاء الرجال إلا دجالين واتاهم الحظ، فإن رجل السياسة الحقيقي يعجب بما تطفح به مؤسساتهم من عبقرية عظيمة ومقتدرة، تلك التي تسهر على التأسيسات المستديمة»، ويقول ص(٢٤١): «وأما محمد فكانت له تصورات قويمة جدًّا، فإنه أحسن شدَّ عرى نسقه السياسي، وطالما أن شكل الحكم الذي أقامه قد استدام في عهد الخلفاء الراشدين، فإن هذا الحكم كان هو هو تمامًا، فكان لهذا السبب عينه حكمًا صالحًا، غير أن العرب وقد آل أمرهم إلى الازدهار، وصاروا أهل أدب ولطف وميوعة، وتراخت عزيمتهم، قهرهم الهمج (البرابرة) وأخضعوهم، فعاد إذ ذاك الفصل بين السلطتين إلى الظهور».

(٣) هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: مصنف عبد الرزاق(١١/ ٣٣٦)، كنز العمال (٥/ ٦٠١).

لعمرو بن العاص: «مُذ كَم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟»[(١)]، بل نبي الإسلام ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله..»[(٢)].

أما الأحاديث في السمع والطاعة لولي الأمر فقد وصفت عجبًا! «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي»[(٣)]، بل نبينا ﷺ وأفضل الخلق طرًّا، يرفع رداءه ليقتص منه الأعرابي. وهكذا بنيت الخلافة وولاية الأمة في الإسلام على هذه المبادئ السامية.

لم يكن الدين الإسلامي معارضًا للعلم بل داعمًا له، ولم يعطل العقل بل طالب بإعماله والنظر في الكون والوجود، ولم يكن يظلم المرأة بل أعطاها حقوقها كاملة. وفي حين كانت الحروب طاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت، ضَمِن الإسلام حقوق أهل الذمة، ومنع أي نوع من الاعتداء عليهم، بل توعد من يعتدي على معاهد! فعن ماذا نبحث خارج هذا الدين الحنيف؟ وكيف نلوي أعناق نصوصه استجابة لضغوط الواقع، ولأوهام النهضة؟ إن النهضة الحقيقة كامنة في ديننا كما أنزل على نبينا ﷺ، لا كما تريده أهواء البشر، فلا عز ولا نصر ولا نهضة لنا بدونه.

---

(١) كنز العمال (١٢/ ٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع، منها: كتاب الأنبياء، باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أهلها﴾ مريم: ١٦. ح(٣٤٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح(٧١٤٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد، ففي نهاية هذا البحث الموجز؛ أجمل هنا أهم النتائج التي تم التوصل إليها :

١-أن التنوير لا يختص بالقرن الثامن عشر، وإن كان هو عصر ظهور التنوير وفلاسفته.

٢-أن المجتمع الغربي كان يعاني من تسلط الكنيسة، والحكم المستبد المطلق المرتبط بها، وتجريمها للعلماء، لذا كانت ثورتهم على الدين.

٣-اقتران التنوير بالمذهب الطبيعي الربوبي، والإلحاد، وعقلنة الدين المسيحي، حيث كان أشهر فلاسفة التنوير بين هذه المذاهب.

٤-عداء دعاة التنوير للدين، ودعوتهم للتحرر من كل السلطات، والاحتكام المطلق للعقل.

٥-الآثار الوخيمة للتنوير؛ من طرح للدين، وتسيب في الأخلاق، واستبداد سياسي، وإفراط في العقلانية، وسوء استعمال للحرية.

٦-أن للتنوير دورًا فعالاً في التقدم العلمي، الذي كانت الكنيسة تجرمه، تمثَّل في إزالتهم لمعوقات العلم، إلا أن ضريبته كانت باهظة؛ حيث اعتقدوا أن العلم فوق كل شيء وليس فوقه شيء، وكانت نتيجة ذلك تأليه الإنسان والمادة، وطمر الدين.

٧-أن نقل التنوير الأوروبي بأصوله إلى العالم الإسلامي محاربة للإسلام.

٨-ظهور ما يسمى بالتنوير الإسلامي في بعض البلاد الإسلامية، وخطورته تكمن في أنه قنطرة إلى العلمانية.

هذا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١-الإسلام بين التنوير والتزوير، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣.

٢-الإسلام نهر يبحث عن مجرى، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

٣-أصول التاريخ الأوروبي الحديث، هربرت فيشر، ترجمة زينب عصمت، أحمد عبد الرحيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٤-اعترافات جان جاك روسو، لروسو، ترجمة حلمي مراد، دار البشير، دمشق، بيروت.

٥-إميل تربية الطفل من المهد إلى الرشد، جان جاك روسو، ترجمة نظمي لوقا، الشركة العربية.

٦-البراجماتية، وليام جيمس. ترجمة محمد العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠٠٨.

٧-تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، رينيه ديكارت، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، باريس. ط: ٤، ١٩٨٨.

٨-التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد السعوي، شركة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٩-تكفير التنوير، محمد بن علي المحمود، الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

١٠-التنوير، دوريندا أوترام، ترجمة د.ماجد موريس إبراهيم، دار الفارابي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١١-التيارات الدينية في السعودية، خالد المشوح، مركز الدين والسياسة للدراسات، الرياض، الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٢.

١٢-ثقافة أوروبا وبربريتها، إدغار موران، ترجمة محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

١٣-ثلاثة نصوص: تأملات في التربية، ما هي الأنوار، ما التوجه في التفكير، إمانويل كانط. ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، تونس، ط:١، ٢٠٠٥.

١٤-جدل التنوير، ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو، ترجمة د. جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

١٥-حكمة الغرب، برتراند راسل. ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة.

١٦-حوار المسيحية والإسلام، هانز كونغ، جوزيف فان إس، دراسة وترجمة د. السيد محمد الشاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

١٧-درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام، ط:٢، ١٤١١هـ.

١٨-الدين الطبيعي، جاكلين لاغرية، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط:١، ١٩٩٣.

١٩-دين الفطرة أو عقيدة القس من جبل السافوا، جان جاك روسو. ترجمة عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: ٢، ٢٠١٢.

٢٠-الدين والعلم، برتراند راسل، ترجمة رمسيس عوض، دار الهلال.

٢١-رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة منى أبو سنه، تقديم مراد

وهبة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

٢٢-رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ترجمة حسن حنفي، التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.

٢٣-روح الأنوار، تزفيتات تودوروف، ترجمة حافظ قويعة، دار محمد علي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٢٤-روح الشرائع، لمونتسكيو، ترجمة عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣.

٢٥-سيادة الأمة قبل تطبيق الشريعة، عبد الله المالكي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

٢٦-الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٧-صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.

٢٨-عصر الإسلاميين الجدد، د.وليد الهويريني، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٣٤.

٢٩-العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة عادل زعيتر، دار التنوير، بيروت، القاهرة، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢. وطبعة أخرى بترجمة: عبدالعزيز لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية.

٣٠-عن الحرية، جون ستيورات ميل، ترجمة هيثم الزبيدي.

٣١-الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٢-فكر حركة الاستنارة، وتناقضاته، عبد الوهاب المسيري، دار نهضة

مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٣٣-فلسفة الأنوار ف.فولغين، ترجمة هنرييت عبودي، مراجعة جورج طرابيشي،دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

٣٤- فلسفة الأنوار والفكر الحديث، جورج بوليتزر، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٤.

٣٥-فولتير حياته، آثاره، فلسفته، أندريه كريسون، ترجمة د.صباح محيي الدين، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

٣٦-في الحكم المدني، جون لوك، ترجمة ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٥٩.

٣٧-قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٨.

٣٨-قضية التنوير في العالم الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣.

٣٩-كتاب العين، للخليل بن أحمد، ت د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.

٤٠-لسان العرب،لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٤١-مابعد الحداثة والتنوير، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.

٤٢-ماهي الأنوار. ميشيل فوكو، ترجمة حميد طاس، كتاب إلكتروني.

٤٣-مبادىء الفلسفة، رينيه ديكارت. ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٣.

٤٤-مبحث في الفاهمة البشرية، ديفيد هيوم. ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٤٥-مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، طبعة بأمر الملك فهد.

٤٦-مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

٤٧-مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، د.محمد مهران رشوان، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢.

٤٨-مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

٤٩-المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٥٠-معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السَّلام هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ.

٥١-موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس،الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

٥٢-نقد العقل المحض، إمانويل كانط. ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت.

٥٣-نقد العقل العملي، إمانويل كانط، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٥٤-نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، تصحيح الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية.

الجرائد والمجلات:

١-جريدة الرياض الالكترونية:

العدد(١٤٨٢١)، ٢٤/ ١/ ١٤٣٠هـ.

العدد(١٤٨٤٢)، ١٦/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

العدد(١٤٨٥٦)، ٣٠/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

العدد(١٤٨٤٢)، ١٦/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

العدد(١٤٠٠٣)، ٤/ ١٠/ ١٤٢٧هـ.

العدد(١٤٠١٠)، ١١/ ١٠/ ١٤٢٧هـ.

٢-جريدة الوطن الالكترونية صفحة الثقافة، ٢٠١٠. بدون رقم عدد.

٣-مجلة البيان الالكترونية.

المواقع الالكترونية:

1. *ar.islamway.net*
2. *ikhwanonline.com*
3. *alasr.ws*
4. *saaid.net*
5. *dundee.ac.uk*
6. *christiandoubt.com*

فهرس الموضوعات